

خُلَاصَةُ مَا جَاءَ بِرَبِّهِ الرَّمَنِي مِنْ أَجْبَارِ سَيِّدِي خَلِيفَتَا بُنِي هَاشِمٍ

للأستاذ محمد التجاني زغودة القماري، السُوفي، الجزائري
المولود عام (1920م)، والمتوفى سنة (2006م)



دراسة وتحقيق وتعليق
إبراهيم بن محمد الأمين رحمانى

خُلَاصَةُ مَا جَاءَ فِي الزَّيْنِ
مِنْ خَبَارِ سَيِّدِي خَلِيفَتَا بَنِي حُسَيْنِ

للأستاذ محمد التجاني زغودة القماري، السوفي، الجزائري
المولود عام (1338هـ/1920م)، والمتوفى سنة (1427هـ/2006م)

دراسة وتحقيق وتعليق

لأبي هاشم بن محمد بن أبي حمزة



- عنوان الكتاب: خلاصة ما جاد به الزمن من أخبار سيدي خليفة بن حسن.
- المؤلف: محمد التجاني زغودة.
- دراسة وتحقيق وتعليق: إبراهيم بن محمد الأمين رحمان.
- الطبعة الأولى: 1448 هـ / 2026 م.
- الإيداع القانوني: سبتمبر 2026.
- ISBN: 1-45-681-9969-978
- عدد الصفحات: 112.
- المقاس: 16.5 × 24 سم.
- التنفيذ الطباعي:

محفوظة
جميع الحقوق



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد،

فإنَّ للبيئة الصحراوية -وما تتميز به من عزلة وصعوبة- سرًّا عجيبًا في صناعة الرِّجال؛ إذ كانت دومًا عنوانًا للفطرة السليمة، والنقاء الإنساني، وبُعد الأفق. ومن رحم تلك القسوة، سطعت نجوم شخصيات فذة، كان لها الأثر الكبير في مختلف مجالات الفكر والأدب والنَّضال، إلى جانب المهارة في التجارة والزراعة وغيرها من الصنائع.

ومن بين تلك الشخصيات الفكرية عميقة الأثر في تاريخنا العلمي، يبرز اسم الشيخ خليفة بن حسن القماري، السُّوفي، الجزائري (المولود عام 1123هـ والمتوفى سنة 1207هـ)، الذي يُعدُّ قامة علمية وفقهية سامقة؛ إذ يشهد كتابه الشهير «جواهر الإكليل في نظم مختصر الشيخ خليل» على تمكنه العلمي، وعلى امتلاكه رصيدًا فقهيًا معتبرًا، يُضاف إلى هذا الأثر المتميز جملة من الرسائل والمسائل الفقهية التي حُفظ بعضها، وعُدَّ كثير منها في حكم المفقود لظروف يصعب كشف تفاصيلها.

وعلى الرغم من تلك القيمة العلمية العالية، إلَّا أنَّ هذه الشخصية لم تحظَ

بالعناية اللائقة والاهتمام المستحق لأسباب متعددة. وكان المبادر الأول إلى التعريف بها وإخراجها من رتبة الإهمال هو الشيخ محمد الطاهر التليلي الفهماري (1328-1424هـ) من خلال رسالته القيّمة: «إتحاف القارئ بحياة الشيخ خليفة ابن حسن الأهماري» التي أخرجها مطبوعة الشيخ أبو القاسم سعد الله (1349-1435هـ).

يضاف إلى ذلك رسالتان موجزتان جدًّا؛ الأولى للشيخ أحمد مفتاح الفهماري (1338-1406هـ) بعنوان: «سيدي خليفة بن حسن الفقيه الكبير»، والثانية للشيخ عبد المجيد حبة العقبي المغيري (1329-1413هـ) بعنوان: «نبذة لطيفة في حياة الشيخ خليفة»، وقد وفّقني الله تعالى لتحقيقهما، وسوف تجدان الطريق للنشر قريباً بإذنه سبحانه.

وبين أيدينا اليوم رسالة أخرى تُعدّ واسطة العقد بين رسالة الشيخ التليلي الأكثر توسّعاً، ورسالتي الشيوخين أحمد مفتاح وعبد المجيد حبة الموجزتين؛ وهي للأستاذ الشيخ محمد التجاني زغودة (1338-1427هـ)، والتي وسمّها بـ «خلاصة ما جاد به الزمن من أخبار سيدي خليفة بن حسن».

وإيماناً منّا بأهمية الحفاظ على التراث الفكري والثقافي الأصيل لمنطقة «وادي سُوف»، وتسهيل الاستفادة منه واستثماره، والنسج على منوال أولئك الأعلام في العمل والاجتهاد وتحديّ الصّعاب؛ فإننا نرفّ إلى القراء الكرام هذه الرسالة اللطيفة التي حرصنا على خدمتها بالجهد العلمي المنشود؛ مقارنةً وتعليقاً وتوثيقاً، وقبل ذلك بالتقديم لها بتعريف موسّع بكاتبها وبأسلوبه المعتمد فيها.

وجدير بالذكر أننا سبق أن قمنا بتحقيق أعمال علمية لشخصيات جليلة أخرى في منطقتنا المباركة؛ كالشيخ إبراهيم العوامر (1292-1351هـ) ⁽¹⁾، والشيخ الطاهر بن العبيدي (1304-1387هـ) ⁽²⁾، والشيخ محمد الطاهر التليبي (1328-1424هـ) ⁽³⁾.

وقد اعتمدنا في تلك الأعمال - كما في هذا العمل - مسلك التعريف الموسع والدقيق - إلى حد ما - بكل شخصية؛ لمعرفةنا بأن هؤلاء الأعلام وغيرهم لم ينالوا حقهم من التعريف والتنويه برصيدهم العلمي، بل إن كثيراً من الكتابات السائدة وقفت عند تداول معلومات غير صحيحة أو يعوزها التدقيق والتمحيص. ومن ثم، سعينا إلى هذا التوسع عن قصد - خلافاً لما يعتمدونه أكثر المحققين - لنقدم للقارئ وجبة علمية متكاملة ومتوازنة تعطي لصاحب الرسالة بعض حقه علينا في التعريف به وبمسيرته العلمية والفكرية.

وبناءً على ما تقدم، فقد انتظم هذا العمل في قسمين رئيسيين:

• القسم الأول: لمحة عن حياة الأستاذ محمد التجاني زغودة والتعريف بكتابه «خلاصة ما جاد به الزمن من أخبار سيدي خليفة بن حسن».

(1) أخرجنا له رسالتين: «المسائل العامرية على مختصر الرحبية» (طبع دار الإمام مالك بالبليدة عام 1443هـ / 2022م)، و«تعليق في حكم البسملة والتقليد» (طبع مطبعة سامي بالوادي عام 2025م).

(2) أخرجنا له ثلاثة رسائل: «رفع اللهو في كشف مسائل السهو» (طبع دار الإمام مالك بالبليدة عام 1443هـ / 2022م)، و«النصوص الصريحة في رد شبه غير صحيحة» (طبع مطبعة سامي بالوادي عام 2022م)، و«تنويل الصلوات في تطويل الصلاة» (طبع مطبعة سامي بالوادي عام 2025م).

(3) أخرجنا له كتابين: «المسائل الفقهية» (فتاوى التليبي) (طبع دار الإمام مالك بالبليدة عام 1442هـ / 2020م)، و«كلمات عن الشيوخ» (طبع دار ومضة بجيجل عام 2022م).

• القسم الثاني: النص المحقق مع التعليق على رسالة «خلاصة ما جاد به الزمن من أخبار سيدي خليفة بن حسن».

هذا، ولا يفوتني في تقديم هذا العمل أن أتقدم بجزيل الشكر وجميل الشاء لفضيلة الشيخ البحاثه عبد الباقي بن أحمد مفتاح؛ حيث تكرم بتزويدي بالنسخة المخطوطة من رسالة الشيخ زغودة هذه، إضافة إلى رسائل أخرى، وعدد من الوثائق النادرة؛ فله مني كل التقدير، سائلا المولى عز وجل أن يبارك فيه وفيمن حوله، وأن يزيده توفيقا وحفظا، وينفع به العلم وأهله.

نسأل الله العلي القدير أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن يرزقنا التوفيق والسداد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه:

أ.د. إبراهيم رحمانى

أستاذ أصول الفقه والفقه المقارن

عميد كلية العلوم الإسلامية بجامعة الوادي - الجزائر

الأحد 20 شعبان 1447 هـ الموافق 08 فبراير 2026م

مدينة وادي سوف - الجزائر

rahmani-brahim@univ-eloued.dz

القسم الأول: «الدراسة»
لمحة عن حياة الأستاذ محمد التجاني زغودة
والتعريف برسالة: «خلاصة ما جاد به الزمن
من أخبار سيدي خليفة بن حسن»

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: لمحة عن حياة الأستاذ محمد التجاني زغودة.

المطلب الثاني: التعريف برسالة: «خلاصة ما جاد به الزمن

من أخبار سيدي خليفة بن حسن».

المطلب الأول

لمحة عن حياة الأستاذ محمد التجاني زغودة⁽¹⁾

وفيه نتطرق إلى العناصر التالية:

أولاً: نسبه ومولده وأسرته.

ثانياً: نشأته ودراسته.

ثالثاً: أعماله ووظائفه.

رابعاً: فضائله.

خامساً: وفاته.

سادساً: آثاره.



أولاً: نسبه ومولده وأسرته

هو محمد التجاني بن محمد الصغير بن إبراهيم بن الحاج عمار زغودة⁽²⁾. ولد ببلدة «فهار»⁽³⁾ في منطقة «وادي سوف» بالجنوب الشرقي الجزائري خلال عام (1338هـ/1920م).

(1) ممن ترجم له: «أعلام من فهار»، التجاني العقون، ص(115-117)؛ «مرايا: حديث في الثقافة والجمال والفنون»، بشير خلف، ص(135-139)؛ «معجم أعلام الجزائر خريجي الجامع الأعظم بتونس»، د. خير الدين شترة (283/3)؛ «إسهامات بلدة أقمار في الحركة الوطنية والثورة التحريرية»، د. ماني محمد (436-435/2).

(2) «زغودة» هو اللقب العائلي، ويقال: إن جدّتهم كان يقال لها منذ صغرها: «زغودة»، والتي تعني في لسان أهل المنطقة: كثرة النشاط والحركة. من الفعل: زغد، يزغد، زغودا، فهو زغود، وهي زغودة.

(3) مدينة عريقة بولاية الوادي (وادي سوف) في جنوب شرق الجزائر بمحاذاة الحدود التونسية "منطقة الجريد"، وتبعد مسافة (15) كلم شمال مقرّ الولاية. (ف: تنطق كالجيم عند المصريين، أو القاف عند اليمنيين). ينظر: «معلمة الجزائر»، شرفي، ص(1189)؛ «أضواء على مدينة فهار»، التجاني العقون، ص(12-41).

نشأ في أسرة عريقة ومحافظة؛ حيث كان جدّه لأبيه الشيخ إبراهيم (1845-1930م) معلّمًا للقرآن الكريم بالزاوية التجانية بـ «فهار»، وتخرّجت على يديه أجيال من الحفظة الماهرين⁽¹⁾.



ثانيا: نشأته ودراسته.

نظراً للأحوال المعيشية الصعبة التي تعيشها المنطقة في تلك الفترة؛ اضطرّ الوالد إلى الهجرة رفقة عائلته، وكانت الوجهة نحو مدينة «بنزرت»⁽²⁾ بالقطر التونسي. ولم يتجاوز الفتى محمد التجاني الخامسة من عمره.

وهكذا نشأ الفتى بعيداً عن موطنه الأصلي حيث الأهل والأقربون، ولم يجد أمامه إلا متنفساً واحداً، وهو مساعدة والده في أعماله التجارية في المحلّ الذي يديره، هذا بالطبع بالموازاة مع دراسته في حلقات التعليم القرآني في جامع «حسين الكاهية»⁽³⁾، حيث تعلّم مبادئ القراءة والكتابة، وحفظ الربع الأخير

(1) ولد الشيخ إبراهيم حوالي (1845م) بـ «فهار» في أسرة متدينة، وبها نشأ وترعرع، حيث حفظ القرآن الكريم بمسجد الزاوية التجانية بـ «فهار»، كما تلقى مبادئ العلوم الدينية والعربية عن شيوخ «فهار» منهم: الشيخ أحمد دغان، وعن بعض الوافدين عليها مثل: الشيخ المكي بن عزوز. اشتغل بعدما اشتد عوده مؤدّباً ومعلّماً للقرآن الكريم بالزاوية التجانية إلى غاية وفاته سنة (1930م). ينظر: «أعلام من فهار»، العقون، ص(18).

(2) مدينة ساحلية قديمة، أسسها الفينيقيون في أقصى شمال تونس، تقع على بعد (65) كم من العاصمة. هي حالياً إحدى أهم الولايات (24)، تبلغ مساحتها (3750) كم². تتميز بتعدد الموانئ، وبالموقع الاستراتيجي للتجارة والصناعة والسياحة. ينظر: موقع وزارة الداخلية التونسية – ولاية بنزرت:

http://www.gouvernorat-bizerte.gov.tn/?page_id=855

(3) تولى «محمد حسين كاهية» منصب القائم مقام لبلدّي «بنزرت»، و«غار الملح» في عهد «محمد باشا باي»، الذي حكم تونس بين (1856م) و(1859م)؛ فكان «الكاهية» بمثابة الحاكم المدني والعسكري لمنطقة بنزرت وما جاورها. ونظراً لمكانته الرفيعة ونفوذه في «تونس» و«بنزرت» تحديداً، ارتبط اسمه بعدة معالم تاريخية، منها: «جامع الكاهية» بـ «بنزرت» حيث سُمّي باسمه تخليداً لإشرافه على بنائه أو ترميمه خلال فترة حكمه للمدينة، وأصبح من المعالم الدينية المعروفة بالجهة. واعتباراً لمكانته في الدولة له «تربة» (ضريح عائلي تاريخي) شهيرة =

من القرآن الكريم، ونظرا لذكائه ونشاطه وجد من الوالدين كل العناية والتشجيع.⁽¹⁾

ولعل تلك العناية الوالدية أفضت إلى الامتناع عن إدخال الفتى إلى المدارس النظامية في القطر التونسي؛ حيث كان النفوذ الفرنسي قوياً، وخشي الوالد على صغيره من أن تؤثر تلك الدراسة على عقيدته أو على انتباهه الوطني، وفق الشكوك المتداولة بين الأصدقاء والمقربين في تلك الفترة.⁽²⁾

تملك الفتى - منذ نعومة أظفاره - ولعٌ شديد بالقراءة؛ إذ كان يقتطع ثمن فطيرته الصباحية طوال الأسبوع ليقتني به عدداً من جريدة "الزهور" الأسبوعية، صامداً أمام ممانعة والده، واستمرّ في الإلحاح حتى أقنعه ونال رضاه. ولم يقف نهمة عند هذا الحدّ، بل اتسع ليشمل الصحف اليومية وكل ما تقع عليه عيناه من منشورات وكتيبات وعلى وجه الخصوص كتب الوعظ والإرشاد. ومع مرور الوقت، اتسع نطاق القراءة، حيث تعلّق بمتابعة مجلة "الإسلام" ثم مجلة "الرسالة"، وهكذا تفتّحت مواهبه الفكرية والأدبية من

= تقع في قلب المدينة العتيقة بـ«تونس» العاصمة (بنهج سيدي إبراهيم الرياحي). وكان حسين الكاهية يمثل نموذجاً لرجال الدولة القادة في القرن (19م) الذين جمعوا بين السلطة السياسية والعسكرية، وتركوا بصمة معمارية واجتماعية واضحة في تاريخ مدينة «بنزرت». ومما هو مسجل في لوح التأيين:

هذا حسين الكاهية .. ذو عفة وعافية
قد كان شهماً في الوغى .. لذا السنين الماضية
فاليوم لاقى ربه .. يرجو الجنان الزاهية
فيا رب أكرم نزله .. وسط القصور العالية
قد قيل في تاريخه .. فذا حسين كاهية

(1) «مرايا: حديث في الثقافة والجمال والفنون» مقالات"، بشير خلف، ص(136).

(2) المرجع نفسه.

خلال الغوص في أعماق الكتب، ناهلاً من بحور الأدب والشعر والتاريخ.⁽¹⁾
هذا، ولما اشتدّ عود الفتى أصبح يتردّد على مسقط رأسه «فهار» من حين
لآخر، ولعلّ أول رحلة له كانت عام (1940م)، وفيها تمت له لقاءات علمية
تربوية مع الشيخ «محمد الطاهر التليلي»⁽²⁾.

يقول «زغودة»⁽³⁾: في تلك الفترة تعرّف على الشيخ الطاهر، وكان رحمه الله
يعرف عني أكثر مما كنت أعرف عنه، إذ هو قريبي من الأم؛ حيث إنّ والدته⁽⁴⁾
عليها رحمة الله هي بنت عبد الله بن الحاج عمار، وعبد الله هذا هو شقيق جدّي
إبراهيم بن الحاج عمار، ولقب الجميع (زغودة)، وهو لقب وضع لنا عند ضبط
الحالة المدنية سنة (1934م).

وفي صباح يوم السّوق - الجمعة - كنّا نجلس في رُكن من حوانيت للمرحوم
«الأخضر سلطانة»⁽⁵⁾، وكان الأخضر هذا من محبّي الشيخ، وعلى عاميّته فقد

(1) «مرايا: حديث في الثقافة والجمال والفنون "مقالات"»، بشير خلف، ص (136).

(2) هو محمد الطاهر بن بلقاسم التليلي، الفهاري، السوفي، الجزائري، ولد عام (1910م) بـ «فهار» حيث نشأ وتلقّى القرآن الكريم ومبادئ العلوم، أكمل دراسته بجامعة الزيتونة وتخرج بالتطوع عام (1934م)، واشتغل بالتعليم في مدارس جمعية العلماء، ثم مدرسة النجاح بـ «فهار» معلماً ومديراً، ثم في التعليم الثانوي بعد الاستقلال في «عنابة» و«تقّرت» إلى أن تقاعد عام (1972م)؛ فعكف على القرآن والبحث والتأليف إلى أن توفي سنة (2003م). ترك جملة من المؤلفات منها: مسائل قرآنية، مسائل فقهية، ديوان الدموع السوداء، هذه حياتي..

راجع كتابنا: «الشيخ محمد الطاهر التليلي وجهوده في البحث الفقهي والإفتاء»، ص (15-52).

(3) «الشيخ العلامة محمد الطاهر تليلي كما عرفته»، محمد التجاني زغودة، ضمن كتاب: «العلامة المصلح محمد الطاهر التليلي 1910-2003 قراءات في سيرته وفكره وآثاره»، تأليف جماعي، ص (16).

(4) توفيت سنة (1383هـ/1963م)، وقد رثاها الشيخ الطاهر بقصيدة مطلعها:

قَضَيْتُ أُمِّي وَبَيْتَ الْمَوْتِ قَدْ زُرْتُ ... وَمَا قَضَيْتُ مِنَ الْحَاجَاتِ أَوْ نَلْتُ

ينظر: «الدموع السوداء»، محمد الطاهر التليلي، ص (42-43).

(5) من خلال ما أورده الأستاذ التجاني العقون في مصنفه «أضواء على مدينة فهار بوادي سوف»، ص (203)، ذكر أن «الأخضر سلطانة» دلال وله دكان بسوق «فهار».

كان من محبِّي الحركة الإصلاحية ومناصريها، وكُنّا أثناء جلوسنا ذاك نقراً ما يقع تحت أيدينا من صحف جزائرية أو تونسية ومجلات علمية، وكان من عادة الشيخ - رحمه الله - أنّه يحبّ من يقرأ عليه، ويفضّل ذلك على قراءته لنفسه، وكانت جلستنا علمية أدبية، ولكن جلاوزة⁽¹⁾ القايد لم تغفل عنا فأبلغت (جريمتنا) إلى (القايد)؛ فاستدعاني إلى مكتبه وبأسلوب دبلوماسي مهذب لطيف، وفي صورة نصيحة طلب منّي الكفّ عن هذا الصنيع وعن الاتصال بالشيخ الطاهر، الذي هو مشبوهٌ خطِرٌ في نظر الإدارة. ومن جملة ما قاله لي: إنّ مثل هذا الاجتماع يُعتبر ممنوعاً في نظر السلطة العسكرية الحاكمة، وأنّ الحرية التي أَلِفْتَهَا في «تونس» لا وجودَ لها هُنا، وأنا أخشى ما أخشاه عليك أن ينالك مسٌّ من بطش السلطة، وإني أريد لك السلامة وطيب الإقامة حتى تعود إلى مستقرّك بـ«تونس» آمناً سالماً.⁽²⁾

ومن الذكريات أيضاً - والكلام للشيخ زغودة -: أنّني عندما عدت من تلك الزيارة إلى مستقرّي بـ«بنزرت» حرّرتُ مقالة ضمّنتها نقد الأوضاع السائدة بـ«سوف»، وتهجّمتُ فيها على الطريقة بلهجة شبابية ساذجة، ووجّهت بمقالتي تلك إلى جريدة (البصائر)؛ فتفضّلت بنشرها ببعض أعدادها؛ ولما اطّلع عليها الطرقيون والسلطة المحلية، هالهم أمرُها، وعلى الرغم من أنها صدرت بإمضائي الصّريح فقد استدعى (القايد) الشيخ الطاهر - رحمه الله - وحمله مسؤوليتها، وهدّده وتوعّده، وقال له: إنها بإيعازك إنّ لم تكن من إملائك.⁽³⁾

(1) يعني: أعوانه، ويطلق الجلاوزة في العربية على الشرطة. ينظر: «المعجم الوسيط»، مادة (ج ل ز)، (1/150).

(2) «الشيخ العلامة محمد الطاهر تليلي كما عرفته»، محمد التجاني زغودة، مرجع سابق، ص (16-17).

(3) المرجع نفسه، ص (17). وينظر في تأكيد هذه الوقائع: «هذه حياتي»، التليلي، (مخ)، ص (55-56). وقد راجعتُ المجموعة الكاملة المطبوعة لمجلدات جريدة البصائر، ولم أجد المقال المذكور.

ولأجل استدراك ما فات من الدراسة النظامية، قرّر الشاب محمد التجاني عام (1945م) الالتحاق بجامع الزيتونة المعمور؛ الذي يعدّ من أعرق المؤسسات العلمية في تاريخ الحضارة الإسلامية، فهو يضاوي جامع الأزهر بـ«مصر»، وجامع القرويين بـ«فاس»، وقد اختلفت الروايات حول الشخصية المؤسسة له؛ والظاهر أن تأسيسه يعود إلى القائد الفاتح حسان بن النعمان (توفي 82هـ)، في حين أتمه الوالي عبيد الله بن الحبحاب (توفي بعد 123هـ).⁽¹⁾

لم يكن قرار الالتحاق بجامع الزيتونة ارتجاليا في السنة المذكورة آنفا، وإنما اتخذ القرار قبل فترة ليست بالقصيرة، اشتغل فيها الشاب «زغودة» بالتحضير لامتحانات الدخول، اقتضت منه دراسة واستيعاب برنامج السنة الأولى، وقد ذلّل له كلّ الصعوبات الأستاذ المرحوم "عبد القادر بوحملة"⁽²⁾، فأظهر شغفا لافتا بحفظ المتون في اللغة والفقه والتجويد ونحوه، مثل: متن «ابن عاشر»⁽³⁾، و«الآجرومية»⁽⁴⁾، و«الجزرية»⁽⁵⁾، و«قطر الندى»⁽⁶⁾، وشيء من «ألفية ابن مالك»⁽⁷⁾. كما كان يستغل الجلسات والمسامرات فيتبارى مع أقرانه في المسابقات الشعرية، ويحرص على ألا تفوته الندوات والمحاضرات الأدبية والفكرية.

(1) ينظر: «مسامرات الظريف بحسن التعريف»، لمحمد بن عثمان السنوسي (470/1)؛ «صفحات من تاريخ تونس»، لمحمد بن الخوجة، ص (283).

(2) لم نقف على ترجمته.

(3) نظم «المرشد المعين على الضروري من علوم الدين» لأبي محمد عبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشر الأندلسي (المتوفى 1040هـ/1631م).

(4) «الآجرومية»، لأبي عبد الله محمد بن محمد الصنهاجي، المعروف بابن أجروم (المتوفى 723هـ).

(5) «الجزرية» نظم في علم التجويد لشمس الدين محمد بن الجزري الشافعي (المتوفى 833هـ).

(6) «شرح قطر الندى وبلّ الصدى»، المتن والشرح لجمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري، المتوفى (المتوفى 761هـ).

(7) «الألفية» نظم في النحو العربي لجمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الأندلسي المالكي (المتوفى 672هـ).

وهكذا التحق بجامع الزيتونة في السنة الدراسية (1946-1947)، وكان دفتره برقم (25052)، وأقام بـ«تونس» العاصمة في نهج الزاوية البكرية، عدد (46)، وبمجرد التحاقه رَسَم في السنة الثانية من المرتبة الأخيرة، التي تحصل فيها على ملاحظة "النجابة التامة"، وفي السنة التي تليها على ملاحظة "النجابة الفائقة"، وبعد تدرّجه الدراسي تحسّل على شهادة الأهلية بامتياز في دورة جوان (1949م).⁽¹⁾ وكان له نشاط ملحوظ في «جمعية الطالب الزيتوني»، و«جمعية الطلبة الجزائريين بتونس»، و«جمعية الرابطة الثقافية القمارية»⁽²⁾.

سجّل في السنة الأولى ثانوي، وفي آخرها تخلّف عن امتحان الانتقال إلى السنة الثانية في دورة جوان (1951م)، وكان سبب هذا الانقطاع قيام الإضرابات حيث شلّت الدراسة بالزيتونة شللا كاملا مما اضطرّه إلى ترك الدراسة.⁽³⁾

هذا، وتعرّف أثناء دراسته بالزيتونة على عدد من رفقاء الطلب، وعلى وجه الخصوص من «وادي سوف» و«وادي ريغ»، ونشأت بينهم صداقة قوية أذكر منهم على سبيل المثال⁽⁴⁾:

■ «محمد الأخضر الأخضر»⁽⁵⁾،

(1) ينظر: «الطلبة الجزائريون بالبلاد التونسية»، حبيب حسن اللولب، ص (283، 691)؛ «معجم أعلام الجزائر خريجي الجامع الأعظم بتونس»، د. خير الدين شترة (283/3).

(2) ينظر: «تاريخ الجزائر الثقافي» (37/10)؛ «هذه حياتي»، التليلي (مخطوط)، ص (61-62).

(3) ينظر: «معجم أعلام الجزائر خريجي الجامع الأعظم بتونس»، د. خير الدين شترة (283/3).

(4) ينظر: «معجم الصفوة»، موهوبي، (213/1).

(5) محمد الأخضر الأخضر السائحي المدعو سي المختار ولد سنة 1927م بقرية «الأفراف» في منطقة «الحجيرة» بـ«ورقلة»، حيث نشأ وتعلم، ثم التحق بالزيتونة (1946م)، وتحصل على الأهلية (1949م)، ثم التحصيل (1952م) بملاحظة حسن جدا، ودرس إلى السنة الثانية في المرتبة العالية (1952م)، ثم انقطع، ورجع إلى البلد معلما ومناضلا سياسيا، انخرط في صفوف جيش التحرير، وترقى إلى رتب قيادية، واستشهد سنة (1961م). ينظر: «الطلبة الجزائريون بالبلاد التونسية»، ص (296)؛ «معجم الصفوة» (225-209/1)؛ «معجم أعلام الجزائر خريجي الجامع الأعظم بتونس» (159/3).

- «محمد كافي»⁽¹⁾،
- «علي كافي»⁽²⁾،
- «عبد المجيد كافي»⁽³⁾،
- «المولدي بن حميدة»⁽⁴⁾،
- «فخر الدين ميعادي»⁽⁵⁾،

(1) هو محمد بن محمد بن علي كافي، من مواليد عام (1927م) بـ«تفرت» حيث نشأ وتعلم، التحق بجامعة الزيتونة عام (1948م)، حيث تحصل على الأهلية عام (1951م)، وشهادة التحصيل عام (1954م)، وسجل بالسنة الأولى من المرتبة العالية بالقسم الشرعي ثم انقطع عن الدراسة. ينظر: «الطلبة الجزائريون بالبلاد التونسية»، ص(343)؛ «معجم أعلام الجزائر خريجي الجامع الأعظم بتونس» (187/3).

(2) هو علي بن محمد بن علي كافي، من مواليد (1929م) بـ«تفرت» حيث نشأ وتعلم، ودرس في مدرسة الفلاح، التحق بجامعة الزيتونة عام (1948م)، حيث تحصل على الأهلية (1951م)، وشهادة التحصيل (1954م)، اشتغل معلما وأستاذا ومديرا بقطاع التعليم إلى أن تقاعد سنة (1991م)، وتفرغ للبحث والدعوة والإصلاح. ينظر: «الطلبة الجزائريون بالبلاد التونسية»، ص(344)؛ «معجم الصفوة» (236-213/2)؛ «الطلبة الجزائريون بالبلاد التونسية»، ص (343)؛ «معجم أعلام الجزائر خريجي الجامع الأعظم بتونس» (186/3)؛ «الموجز الكافي من حياة علي كافي»، عبد الحميد قادري، ص(8-81).

(3) هو عبد المجيد بن عبد السلام بن محمد كافي، من مواليد «تفرت» عام (1932م)، حيث نشأ وتعلم بمدرسة الفلاح، ليلتحق عام (1951م) بجامعة الزيتونة، وتحصل على الأهلية عام (1955م)، تولى التدريس في مدرسة الفلاح وغيرها، ثم بالإمامة في الجامع العتيق إلى التقاعد عام (1992م)، توفي سنة (2022م). ينظر: «الطلبة الجزائريون بالبلاد التونسية»، ص(368)؛ «معجم أعلام الجزائر خريجي الجامع الأعظم بتونس» (187/3).

(4) المولدي بن حميدة، من رجال التربية والنضال بـ«تفرت»، حيث ولد بها عام (1929م) ونشأ وترعرع، ثم التحق بجامعة الزيتونة، وبعد حصوله على الأهلية رجع إلى «تفرت»، واشتغل بالتدريس في مدرسة الفلاح، ومع اندلاع الثورة كان في مقدمة الداعمين والنشطين في التعبئة في مختلف المنابر، ثم في خلايا الاتصال والدعم إلى أن ترصده الفرنسيون وألقوا عليه القبض (1957م)، وتعرض للتعذيب الشديد، وبقي في السجن إلى سنة (1962م). أثر الرجوع إل مهنة التعليم، والمشاركة في التظاهرات الثقافية. توفي في صيف (2018م).

(5) محمد فخر الدين ميعادي، من أعلام المجاهدين بـ«تفرت»، كان يعمل كحلقة وصل مع مراكز الثورة في الجنوب، واعتقل بالفرارة سنة (1958م)، وتعرض للتعذيب والسجن في كل من «غرداية»، «البليدة»، و«سركاجي» بالعاصمة، وأفرج عنه مع الاستقلال (1962م). اشتغل بالفلاحة، وعمل فترة بالمجلس البلدي لبلدية «العالية»، وعرف بمواقفه الوطنية الصلبة. توفي في (23) جوان (2002م).

- «الصادق التجاني»⁽¹⁾،
- «إبراهيم بوحنيك»⁽²⁾،
- «علي براج»⁽³⁾،
- «بشير براج»⁽⁴⁾،
- «عبد الحميد فرميط»⁽⁵⁾،

(1) هو الصادق بن حسن بن الصادق بن محمد العيد التجاني، من مواليد «تملاحت» ضواحي «تشرت» عام (1926م)، حيث نشأ وتعلم، التحق عام (1948م) بجامعة الزيتونة، وتحصل على الأهلية عام (1953م)، وشهادة التحصيل عام (1956م)، وسجل في السنة الأولى من المرتبة العالية قسم الآداب، ثم انقطع عن الدراسة، واستأنف عام (1960م) في الجزء الأول من شهادة العالمية. ينظر: «الطلبة الجزائريون بالبلاد التونسية»، ص(333)؛ «معجم أعلام الجزائر خريجي الجامع الأعظم بتونس» (166/3).

(2) هو إبراهيم بن علي بوحنيك، ولد سنة (1920م)، بـ«بلدة عمر»، حفظ القرآن ثم تتلمذ على يد الشيخ علي خليل بـ«المغير»، ثم انتقل إلى الشيخ العربي التبسي سنة (1946م)، ثم إلى الزيتونة وتحصل على الأهلية عام (1951م) ولم يكمل دراسته، بدأ مشواره في إطار جمعية العلماء المسلمين، إلى أن قامت الثورة فكان من أوائل المستجيبين لنداء الوطن، فكان عضوا في اللجنة الثورية الأولى بـ«المغير». وهو من أوائل المعلمين في المغير، وهو من فتح مدرسة النجاح سنة (1953) بعد غلقها مع زميله الأزهرى ثابت، توفي سنة (2008م). وينظر: «الطلبة الجزائريون بالبلاد التونسية»، ص(273)؛ «معجم أعلام الجزائر خريجي الجامع الأعظم بتونس» (162/3).

(3) هو علي بن محمد بن قويدر براج، ولد بقرية «سيدي خليل» ضواحي «المغير» عام (1929م) حيث نشأ وتلقى مبادئ العلوم، التحق عام (1946م) بجامعة الزيتونة، وبعد تخرجه اشتغل بالتعليم في المدرسة الحرة، وأسهم في النضال الثوري، ثم انخرط في جيش التحرير إلى أن استشهد سنة (1961م). ينظر: «شخصيات وأعلام في الذاكرة»، قادري، ص(227-233).

(4) هو بشير بن يوسف بن قويدر براج، ولد بقرية «سيدي خليل» ضواحي «المغير» عام (1928م) حيث نشأ وحفظ القرآن، وتلقى مبادئ العلوم، التحق عام (1946م) بجامعة الزيتونة، وتحصل على الأهلية عام (1950م)، وعلى التحصيل عام (1953م)، والتحق بالتعليم في المدارس الحرة بالعاصمة «الجزائر»، ثم انخرط في المنظمة المدنية ثم في جيش التحرير إلى أن استشهد سنة (1957م). ينظر: «الطلبة الجزائريون بالبلاد التونسية»، ص(284)؛ «شخصيات وأعلام في الذاكرة»، قادري، ص(235-239).

(5) هو عبد الحميد بن مبارك فرميط، من مواليد «المغير» عام (1931م)، حيث نشأ وتعلم وأتقن حفظ القرآن الكريم، وتمكن من عدد من المتون، التحق بجامعة الزيتونة عام (1949م)، تحصل على الأهلية عام (1953م)، وشهادة التحصيل عام (1956م)، ثم انقطع عن الدراسة. ينظر: «الطلبة الجزائريون بالبلاد التونسية»، ص(350)؛ «معجم أعلام الجزائر خريجي الجامع الأعظم بتونس» (318/3).

■ «الصادق حفيان»⁽¹⁾.

ومن الجاليات الجزائرية الهامة في «تونس» جالية السوافة أو أهل «سوف»، وكان فيهم العمال والطلبة، وقد أسّس هؤلاء جمعيات بأسماء بلداتهم الأصلية أو باسم منطقة «سوف»، وقد ورد في جريدة «المغرب العربي» اسم «جمعية الرابطة القمارية الثقافية» من «ثمار»، واسم كاتبها العام هو «التجاني زغودة» الذي كتب مقالة طويلة بهذه المناسبة حول الحكم العسكري في منطقة «سوف» وعن حكم القياد والأغوات، ومنهم آغا «ثمار»⁽²⁾.

قال الدكتور أبو القاسم سعد الله: وقد التقيتُ السيد «زغودة» في «ثمار» يوم (28) أكتوبر سنة (2002م) فاستفسرته عن الجمعيات الجزائرية في «تونس» فلم يتذكر إلا رابطة القماريين (هكذا أسماها)، ثم حدّثني عن نشاطه أثناء الثورة في «تونس» والتبرّع لها، باعتباره صاحب مكتبة الفتح في سوق البلاط، كما فعل الشيخ «الشميني» صاحب مكتبة الاستقامة، وكان للشيخ «زغودة» قبل الثورة نشاط في الحزب الدستوري القديم ثم الجديد، وفي جمعية صوت الطالب الزيتوني التونسية التي ظهرت في أوائل الخمسينيات وقادت حركة تجديدية في جامع الزيتونة. كانت الجمعيات والأحزاب التونسية مفتوحة أمام الجزائريين، وقد اشترك فيها البعض بكل نشاط وإيمان بالمصير المشترك، وكانت بالنسبة للبعض مدرسة في العلم وفي السياسة والثقافة والإعلام، فكان رجل مثل «زغودة» يشارك في تحرير جريدة «الزهو» وجريدة «الزهرة»⁽³⁾.

لقد تحمّل الجزائريون المهاجرون إلى «تونس» مسؤولياتهم بمناصرة المطلب

(1) لم أقف على معلومات بخصوصه.

(2) «المغرب العربي» (26) سبتمبر، (1947م)؛ نقلا عن: «تاريخ الجزائر الثقافي» (37/10-38).

(3) «تاريخ الجزائر الثقافي» (37/10-38).

الشعبي للتحرّر والانعتاق، واندفعوا مؤيدين وداعمين لجيش وجبهة التحرير، وقد ترسّخ هذا المسلك بقوة أكثر بعد استقلال «تونس»، وتأكّد لديهم ضرورة تمييز الذاتية الجزائرية.⁽¹⁾

لقد كان الجزائريون يُعتبرون فرنسيين مسلمين حسب القانون الفرنسي، وتواصل الأمر على هذا الاعتبار في «تونس» حتى بعد استقلالها أثناء الثورة التحريرية التي أعادت النظر في كلّ الأسس التي قام عليها الوجود الفرنسي بـ«الجزائر». فكان لا بد أن يتحرّك الجزائريون في «تونس» لإعادة الأمور إلى نصابها ونفي كونهم «فرنسيين مسلمين»؛ لأنّه لقب معيبٌ بالنسبة إليهم. وتوجّهوا إلى الشعب التونسي طالبين منه اعتبارهم «جالية عربية مسلمة» لا فرنسية؛ لأنّ الشعب الجزائري الثائر لم يقدّر بثورته المباركة هذه إلا دفاعاً عن كرامته وعزّته وعروبوته وإسلامه، فالشعب الجزائري كبيره وصغيره، شيوخه وشبابه، نساؤه ورجاله، هم ضحية العدوان في سبيل تحرير «الجزائر»؛ "ثم نأتي هنا ونرضى بهذه الجنسية الممقوتة، ونرضى أن نبقى نعامل كالفرنسيين؛ فما نحن إلا خونة مارقون حقّقت علينا غضبة الشعب، ويلٌ للمرء من غضب الشعب الجريح المكافح. إنّنا عربٌ مسلمون؛ فعاملونا معاملة العرب المسلمين، نريدُ أيّها الشعب التونسي أن تعتبرنا جزائريين مسلمين عرب، نحن من «الجزائر» وإلى «الجزائر» العربية ننتسب، في سبيل «الجزائر» نحيا ونموت".⁽²⁾



(1) ينظر: «نظرة على الجزائر بين 1947 و1962 من خلال كتابات الجزائريين في الصحافة التونسية (الزهرة، الأسبوع، الصباح: نموذجاً»، براهيم بلوزاع، ص(96).

(2) المرجع نفسه، ص(97).

ثالثاً: أعماله ووظائفه

التحق محمد التجاني - بعد تركه للدراسة - بجريدة «الزهرة»⁽¹⁾، وهي جريدة أسبوعية؛ فكان محرراً ومصححاً لغوياً. كما افتتح في سنة (1955م) مكتبة الفتح في سوق البلاط⁽²⁾ بـ «تونس» العاصمة.

وفي ميدان السياسة كان له نشاط لافت في «تونس» سواء في الحزب الدستوري القديم أو الجديد - كما سبق ذكره -.⁽³⁾ ولم يتخلف عن العمل السياسي في صفوف جبهة التحرير الوطني. وفي سنة (1956م) قام بأول رحلة إلى «مصر» مع قافلة ثقافية لجمعية الشبان المسلمين⁽⁴⁾، وكان الشيخ «محمد

(1) جريدة الزهرة هي إحدى أهم وأقدم الجرائد التونسية، صدرت للمرة الأولى عام (1890م)، وكان آخر عدد لها في سنة (1959م)، أسسها وأدارها وكان وصاحب الامتياز فيها السيد عبد الرحمن الصنادلي، وهو تونسي من أصول جزائرية، ولد عام (1848 أو 1850)، وتوفي سنة (1935م).

(2) «سوق البلاط»: من الأسواق العتيقة في مدينة تونس، ولم يكن بهذا السوق أي قصر أو بلاط، وإنما كان أول سوق يقع تبليطه من طرف المجلس البلدي سنة (1872م)، وهو سوق قديم للخضر والغلال، ويبدو أنه كان موجوداً منذ العهد الحفصي، وفي نهاية القرن (17) أصبح أكثره لبيع الأعشاب الطبية. يجتล السوق نهجا ضيقا، جانب هام منه مسقوف، ويقع في قلب المدينة العتيقة حيث يمكن الوصول إليه انطلاقاً من جامع الزيتونة بالاتجاه جنوباً من سوق القشاشين. كما يمكن الوصول إليه من الجهة الأخرى من نهج الصباغين.

(3) «تاريخ الجزائر الثقافي» (37/10 - 38).

(4) هي جمعية تأسست عام (1929)، برئاسة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، ولها طابع إصلاحية وخيرية في إطار الشريعة الإسلامية، حيث انخرطت في العمل الوطني، ودعمت القضية الفلسطينية، وشاركت في الحراك الثقافي والاجتماعي في تونس خلال الفترة الاستعمارية. من أهدافها: بث الآداب الإسلامية والأخلاق الفاضلة - السعي لإنارة الأفكار بالمعارف على طريقة تناسب روح العصر - العمل على إزالة الاختلاف والجفاء بين الطوائف والفرق الإسلامية - الأخذ من محاسن الحضارتين الشرقية والغربية، وترك سلبياتهم. وكان اعتمادها بشكل رسمي من خلال الأمر العلي في (6) أوت (1936م)، والمنقح بأمر (17) ماي (1945م). وقد انتهت الجمعية قانونياً مع مطلع الاستقلال بعد صدور قانون الجمعيات لسنة (1959م) وواقعياً منذ (1956م) باستقالة رئيسها صانع أمجادها، الشيخ محمد الصالح النيفر، بعد أن وجد نفسه ومشروعه خارج السياق الجديد، قبل أن يساهم لاحقاً في تأسيس الجماعة الإسلامية، ثم حركة الاتجاه الإسلامي. ينظر: جمعية الشبان المسلمين بتونس والحركة الوطنية =

الصالح النيفر»⁽¹⁾ يترأس تلك الجمعية، وكانت هذه الرحلة تضم أعيان العلماء المدرسين بجامع الزيتونة، وأشهر رجال القضاء في «تونس».

وفي تلك الفترة أيضا وفي إطار التعريف بالثورة التحريرية، وحشد الدعم لها، قام بزيارة إلى «لبنان» و«سوريا» في إطار برنامج العمل السياسي، وفي سوريا

=د. عبد الرحمن الهذلي ط: 1؛ تونس: مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، 2022م؛ «النشاط الإصلاحي والاجتماعي لجمعية الشبان المسلمين التونسيين ما بين 1929م- 1956م»، د. محمد بوطيبي، مجلة التميز الفكري، جامعة الطارف، ع (5)، جانفي (2021م)، ص ص (34-46).

(1) هو محمد الصالح بن الطيب بن علي بن صالح النيفر، ولد عام (1905م)، تلقى دراسته الابتدائية بالمدرسة القرآنية ثم بمدرسة السلام، ثم التحق بجامع الزيتونة عام (1916م)، تحصل على شهادة التطوع عام (1923م). انضم إلى سلك المدرسين بالجامع الأعظم عام (1929م) بصفته متطوعاً، ثم ارتقى إلى الطبقة الثانية سنة (1935م)، ولم يرتق إلى الطبقة الأولى إلا سنة (1953م)، ثم كلف بإدارة الفرع الزيتوني للبنات. أسس عام (1930م) جمعية النشء الرياضي، كما كان أحد مؤسسي جمعية علماء جامع الزيتونة عام (1933م)، كما كان أحد مؤسسي نقابة المشايخ المدرسين بجامع الزيتونة وفروعه وكانت تابعة للكونفدرالية العامة للشغل. وفي بداية الحرب العالمية الثانية أسندت إليه رئاسة جمعية الشبان المسلمين التي اتسع نشاطها في عهده. وتولى الكتابة العامة لمؤتمر المدرسين الزيتونيين الذي انعقد في أكتوبر (1944م) للنظر في إصلاح التعليم الزيتوني. كما نشط في الميدان الصحفي إذ أسهم في تحرير جرائد "البدر" و"النهضة"، "مكارم الأخلاق"، و"مرشد الأمة"، و"المشير"، و"الاستقلال"، و"النقيب التونسي" وترأس تحرير مجلة "الجامعة" (1937م)، وأصدر مجلة "الشبان المسلمون" التي ظهر عددها الأول في مارس (1947م). أما بعد الاستقلال فقد وقف ضد مجلة الأحوال الشخصية. أحيل على التقاعد المبكر، كما أوقف عن إمامة جامع التوفيق، فاختار الهجرة إلى الجزائر سنة (1963م)، وامتد مكوثه بها إلى سنة (1970م)، حيث عين في البداية مديراً لمدرسة ثانوية بـ«البليدة» ثم طلب النقلة إلى الشرق الجزائري فتولى تدريس الفلسفة الإسلامية وتاريخ الأدب العربي بالمعاهد الثانوية (1965م) ثم الحضارة والتشريع الإسلامي بجامعة قسنطينة (1967م). وبعد عودته إلى تونس سنة (1970م) رجع إلى النشاط من جديد بالجوامع، وهو ما أدى إلى إحالته على المحاكمة سنة (1981م) دون أن يصدر عليه حكم بالسجن. أما آثاره، فقد كتب مقالات وقصائد كثيرة وبأساء متعددة، ومع تنوع كتاباته لم يصدر له غير كتيب واحد يحمل عنوان "الصلاة عماد الدين"، نشر بتونس سنة (1975م). توفي الشيخ في منزله بباردو سنة (1993م)، وأبنته الشيخ محمد الشاذلي النيفر رحمهم الله جميعاً. وراجع في سيرته: «الشيخ محمد الصالح النيفر حياته وآثاره»، إعداد وتقديم: أروى النيفر، ط: 1؛ بيروت: دار لبنان للطباعة والنشر، (1425هـ/2005م).

التقى صديقيه: «عبد الحميد مهري»⁽¹⁾، و«يوسف الرويسي»⁽²⁾، كما تعرّف بدمشق على الشيخ «محمد البشير الإبراهيمي»⁽³⁾ رئيس جمعية العلماء المسلمين

(1) من كبار السياسيين الجزائريين، ولد عام (1926م) في الخروب بـ«قسنطينة»، ونشأ في «وادي الزناقي» أين حفظ القرآن الكريم وتلقى أولى دروسه، انخرط في صفوف حزب الشعب، ثم حركة انتصار الحريات الديمقراطية. اعتقل في نوفمبر (1954م) وبقي في السجن حتى أبريل (1955م). عيّن في العام نفسه ضمن وفد جبهة التحرير الوطني بالخارج، وشغل منصب عضو في المجلس الوطني للثورة الجزائرية، ثم في لجنة التنسيق والتنفيذ، وعند تشكيل الحكومة المؤقتة شغل منصب وزير شؤون شمال إفريقيا في الأولى، ومنصب وزير الشؤون الاجتماعية والثقافية في التشكيلة الثانية. عُيّن بعد الاستقلال أمينا عاما لوزارة التعليم الثانوي (1965-1976م)، ثم وزيرا للإعلام والثقافة في مارس (1979م) ثم سفير الجزائر في فرنسا (1984-1988م) ثم في المغرب حتى استدعائه إلى الجزائر وتوليه منصب الأمانة الدائمة للجنة المركزية ثم منصب الأمين العام لحزب جبهة التحرير الوطني بين (1988 و1996م)، وانسحب بعدها من الحياة السياسية مؤثرا النضال من خلال المحاضرات والمكتبات. توفي في (30) جانفي (2012م). ووري الثرى في مقبرة سيدي يحيى بالعاصمة.

(2) هو مناضل وطني تونسي، من مواليد عام (1907) بقرية «دقاش» في منطقة الجريد (ولاية توزر حاليا) في وسط عائلي محافظ. درس بادئ الأمر بـ«دقاش» ثم انخرط في الحلدونية والريثونة. كان من دُعاة الإصلاح ومن الثائرين على النظام التربوي التقليدي ومقاومة السياسة الاستعمارية على المستويين المحلي (الجريد) والوطني. وكان من ضمن المناضلين الدستوريين الذين شهّروا بالسياسة الفرنسية القمعية. تولى إدارة مكتب المغرب العربي بـ«برلين» ورئاسة تحرير جريدة «المغرب العربي» التي كانت تصدر باللغتين العربية والألمانية. وفي (1946م)، حكمت عليه المحكمة العسكرية الفرنسية بتونس بالإعدام غيابيا وحجز أملاكه بتهمة التآمر ضد أمن الدولة الخارجي، فالتجأ إلى «سوريا»، وأسس فيها مكتب المغرب العربي للتعريف بالقضية التونسية وقضايا المغرب العربي ودعم النضال في الخارج. كان يتعاون مع جبهة التحرير في دعم ثورة الجزائر. عارض سياسة قادة الحزب الدستوري الجديد، وإبرام الاتفاقيات الفرنسية سنة (1955م)، وكانت عودته إلى تونس في صائفة (1964م)، وانتخب عضوا بمجلس الأمة، ثم عيّن مستشارا لرئيس الجمهورية الحبيب بورقيبة. توفي سنة (1980م).

(3) هو محمد البشير بن محمد السعدي بن عمر الإبراهيمي، من كبار علماء الجزائر المعاصرين، ولد عام (1889م) بقرية «رأس الوادي» بناحي مدينة «سطيف» شرق الجزائر، حيث حفظ القرآن الكريم وتلقى مبادئ العلوم، ورحل رفقة عائلته إلى «المدينة المنورة» حيث أكمل دراسته، ثم رحل إلى «دمشق» عام (1917م) لتدريس الآداب العربية بالمدرسة السلطانية، وقرر عام (1920م) العودة للجزائر، حيث أسهم رفقة عبد الحميد بن باديس في إنشاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام (1931م)، وكان نائبا للرئيس، وتولى رئاستها بعد وفاة ابن باديس عام (1940م). تعرّض بسبب نشاطه التعليمي والإعلامي والديني لمضايقات السجن والنفي من قبل الاحتلال، وكان له دور بارز في دعم الثورة الجزائرية في الخارج. توفي بـ«الجزائر» سنة (1385هـ/1965م). ينظر: «آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي»، جمع وتقديم نجله: أحمد طالب الإبراهيمي (13-9/1).

الجزائريين وغيرهم رحمهم الله.

وفي هذه الفترة توثقت علاقته بالشهيد «زين العابدين شكيري»⁽¹⁾ رحمه الله، وكان يعمل وقتها مع الشهيد «سعيد عبد الحفي»⁽²⁾ و«الطالب العربي»⁽³⁾ وغيرهما. ومن توثقت علاقته بهم أيضا: «عبد الرحمن الشريف»⁽⁴⁾، و«محمد الأخضر

(1) هو زين العابدين بن الصادق شكيري، المولود بـ «فمار» عام (1928م)، حيث نشأ وترعرع وتلقى مبادئ العلوم، ثم شد الرحال لجامع الزيتونة الذي تخرج منه والثورة على أشدها فالتحق بصفوفها عام (1956م)، وأصبح من المقربين من القائد الطالب العربي قمودي، وقد استشهد في ميدان المعركة ضواحي خنشلة في (17) فبراير (1957م). ينظر: «الأعجام»، بسر، (126/1-127)؛ «السجل الذهبي لشهداء الثورة...»، ص (167).

(2) هو عبد الحفي بن الطاهر بن سعد بن حميدة، ولد بحي المصاعبة وسط مدينة «الوادي» عام (1927م)، حيث كانت نشأته الأولى، ثم تنقلت العائلة إلى منطقة «الرثيبة» حيث أخذ قسطا من القرآن، وانتقل عام (1938م) إلى «فمار» للدراسة في مدرستها، ثم التحق عام (1948م) بجامع الزيتونة، فنال شهادة التحصيل (1954م)، وكان نشطا في جمعية الطلبة الزيتونيين الجزائريين بتونس، وهو ما أهله ليكون قائدا سياسيا وعسكريا كبيرا في الثورة التحريرية. استشهد سنة (1957م). ينظر: «شهداء الحرب التحريرية»، العمامرة والعوامر، ص (41)؛ «معجم أعلام الجزائر خريجي الجامع الأعظم»، شترة (287/3)؛ «الأعجام من أبناء سوف»، بسر (58/1-61).

(3) هو العربي بن محمد قمودي، ولد عام (1923م) بحي أولاد حمد بـ «البياضة»، نشأ يتيما في رعاية والدته، فحفظ القرآن كاملا على يد خاله محمد الصغير غربي، وأخذ مبادئ العلوم والتوجيه عن شيوخ المنطقة، ثم التحق بزاوية الشيخ ابن عزوز في «نفطة»، ثم زاوية الشيخ المولدي بـ «توزر»، رجع إلى مسقط رأسه عام (1939م)، وفي أواخر (1949م) هاجر إلى «الرديف» بالجنوب التونسي واشتغل في مناجم الفوسفات، واتصل بخلايا الحزب الدستوري ورجال النقابة، ثم التحق بالمقاومة التونسية المسلحة عام (1952م)، وعند اندلاع الثورة التحريرية الجزائرية كان من أوائل المتحمسين بصفوفها والمشكلين لأول خلية ثورية بـ «الرديف» في نوفمبر (1954م)، وأصبح عام (1956م) على رأس قيادة منطقة الجنوب الشرقي. قبضت عليه السلطات التونسية رفقة رجال المقاومة اليوسفية سنة (1957م)، وحكمت عليه المحكمة العليا بالإعدام. ينظر: «الأعجام من أبناء سوف» (71/1-75)؛ «شهداء الحرب التحريرية»، العمامرة والعوامر، ص (35).

(4) من مواليد جويلية (1931م) بـ «تبسة». ينتمي إلى عائلة محافظة حيث كان والده إماماً، فحفظ الكريم، ثم انضم إلى الحركة الوطنية للشباب الجزائريين. توجه عام (1948م) إلى «تونس» لمواصلة الدراسة والنضال، وانضم إلى قافلة الطلبة الزيتونيين، ثم انخرط في الكفاح المسلح، وكون مجموعة لتدريب الأسلحة إلى الجزائر عبر الحدود التونسية. كما ناضل في مختلف المنابر الإعلامية. عمل ضمن الطاقم الحكومي في عهد الرئيس أحمد بن بلة، كوزير مكلف بالشؤون العربية والأفريقية حتى عام (1965). توفي بـ «وهران» في (03) أوت (2024م).

الأخضري»⁽¹⁾، وشقيقه «محمد الصغير الأخضري»⁽²⁾، و«عبد القادر السائحي»⁽³⁾.

وفي سنة (1962م) أدى فريضة الحج، وكان هذا من خلال رخصة قُدمت له من قبل مكتب جبهة التحرير الوطني في «تونس»⁽⁴⁾.

وبعد أن أشرقت «الجزائر» بنور ربها، وزالت ظلمة الاحتلال البغيض، وتنفس الناس الصعداء بنيل الاستقلال؛ سارع الشيخ زغودة -بعد أن هيا الأسباب- إلى العودة إلى أرض الوطن (الجزائر) بعد أن غادرها صغيرا لم

(1) سبق التعريف به.

(2) ولد عام (1932م) ببلدة «الأفراف» ضواحي «الحجيرة» التابعة لمدينة «ورقلة»، حيث حفظ القرآن وتلقى مبادئ العلوم خاصة عن شقيقة محمد الأخضر، التحق بالزيتونة، ونال شهادة التحصيل عام (1957م)، وسجل في السنة الأولى من المرتبة العالية، وانخرط في الثورة وأصبح مسؤولاً عن خلايا التنظيم الخاص بالطلبة إلى غاية (1958م)، ثم أرسل إلى «القاهرة» ضمن بعثة اتحاد الطلبة الجزائريين؛ فدرس الحقوق وتخرج بالليسانس عام (1964م). عمل بعد الاستقلال بالإذاعة، ثم مدرسا بالمدرسة العليا للصحافة، وكان له نشاط بارز في عدة هيئات سياسية وجمعيات حقوقية، واشتغل بالمحاماة لفترة طويلة. «معجم الصفوة» (260-241/2).

(3) هو محمد الأخضر عبد القادر السائحي شاعر وكاتب جزائري. ولد بمدينة «ثغرت» عام (1933م)، فنشأ ودرس فيها وفي «باتنة». ثم قصد الزيتونة عام (1949م) حيث نال شهادة التحصيل (1956م). كان في تونس عضواً بجمعية الطلبة الجزائريين، وفي الاتحاد الوطني للطلبة الجزائريين، وفي رابطة القلم الجديد، وفي العام للعمل الجزائريين، وفي جبهة التحرير الوطني الجزائرية. رجع إلى الجزائر بعد الاستقلال في (1962م)، وواصل تعلمه بجامعة الجزائر. وبعد تخرجه عمل أستاذاً، كما عمل متصرفاً وصحفيّاً وموظفاً في إذاعة الجزائر. يعدّ من أبرز الشعراء الجزائريين المعاصرين، وهو يحمل نفس الاسم مع ابن عمه محمد الأخضر السائحي المتوفى في (2005م)، مما جعل كتاب السير يخلطون بينهما، فخصّ بلقب «السائحي الصغير» تمييزاً له عن ابن عمّه «السائحي الكبير». عندما أعيد تأسيس اتحاد الكتاب الجزائريين في (1974م)، انتخب ضمن المكتب الإداري. من أعماله: «مأساة الإنسانية في الجزائر»، «ألوان من الجزائر»، «واحة الهوى» (ديوان شعري)، «بكاء بلا دموع» (شعر)، «أغنيات أوراسية»، «حمر ورماد»، «الراعي وحكاية الثورة» (شعر) و«مجموعة تمثيلات»، وغيرها. توفي سنة (2023م). ينظر في ترجمته: «معجم الصفوة»، موهوبي (314-271/2).

(4) «مرايا: حديث في الثقافة والجمال والفنون» مقالات"، بشير خلف، ص (138).

يتجاوز الخامسة من العمر، ولم تكن زيارته لها إلا أياما معدودات، حيث كان العدو يترَبَّص به وبمن حوله.

اختر الشيخ زغودة أن يستقرّ في قسنطينة، وكان هدفه المرسوم التمكن من مواصلة الدراسة في مركزها الجامعي، ولتأمين متطلبات المعيشة افتتح مكتبة صغيرة، كان هذا عام (1965م)، وبقي يتحين الفرص ليجد منفذا لإكمال دراسته حتى تيسّر له النجاح عام (1967م) في مسابقة الدخول للسنة التحضيرية بقسم اللغة والأدب العربي، وهكذا لم يجد صعوبة -نظرا لتكوينه القاعدي القوي والمتميز- في الاندماج في مسيرة التحصيل الجامعي بالقسم المذكور، رغم كبر سنه وتغير البيئة التي يتعامل معها. وهكذا تُوّج بعد سنوات قليلة عام (1971م) بشهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي.⁽¹⁾

لم يجد الشيخ زغودة مبررًا لبقائه في «قسنطينة» وقد حقق مرغوبه بالحصول على الشهادة الجامعية التي كان يريد، ولم يكن عمله المكتبي مغريا له للبقاء في تلك المهنة، حيث كان ينظر إليه باعتباره ضرورة مرحلية لتأمين ضروريات العيش. وهكذا شدّ الرحال عام (1973م) نحو ربوع «سوف»، وإلى «فهار» بالذات؛ حيث مسقط الرأس ومهوى الفؤاد ومستقرّ الأهل والأحباب.

ولما أراد أن يدخل وظيفة التعليم أعاقه العمر؛ حيث إنه تجاوز الخمسين، ولم يسبق له أن تقلّد وظيفة رسمية؛ فاضطرّ إلى تقديم طلب إلى العدالة لتعديل تاريخ مولده من (1920م) إلى (1931م)؛ مما مكّنه من إيجاد منصب عمل في سلك التربية والتعليم.⁽²⁾

(1) «مرايا: حديث في الثقافة...»، بشير خلف، ص (138)؛ «أعلام من فهار»، التجاني العقون، ص (116).

(2) المرجع نفسه، بشير خلف، ص (138).

وانخرط في سلك التعليم بالمعهد الإسلامي⁽¹⁾ (ثانوية بوشوشة حاليا) في منصب أستاذ للغة العربية، وحول بعدها إلى فرع المعهد الإسلامي بـ«قمار» حيث أسندت إليه إدارته.

وما هي إلا أعوام قليلات؛ حتى جاء قرار إلغاء التعليم الأصلي في «الجزائر»، الذي يعتبر من أبرز المحطات التاريخية والجدلية التي ميزت مسار المنظومة التربوية الجزائرية بعد الاستقلال؛ حيث إنه سبق اعتماد نظام "التعليم الأصلي" بمساهمة شعبية فاعلة، وكان هذا بالتوازي مع نظام التعليم العام الذي لم يتخلص من تأثيره بالمنظومة الفرنسية. ويهدف التعليم الأصلي إلى إعادة الاعتبار للهوية الوطنية والعربية الإسلامية للجزائر بعد عقود من الاستعمار.

اتُّخذ قرار إلغاء هذا النظام وإدماجه في التعليم العام سنة (1976م) أثناء مناقشة واعتماد الميثاق الوطني، ولم يتم الإعلان عن هذا إلا في سنة (1977م)، حيث ألغيت وزارة التعليم الأصلي؛ وتم دمج طلابها ومؤسساتها ضمن وزارة التربية الوطنية.

هذا، واختلفت الآراء بشأن الأسباب الحقيقية لإلغاء هذا النمط من التعليم؛ فالحكومة رفعت شعار "وحدة التعليم"، بحجة أنه لا يجب خلق نظامين تعليميين متوازيين في دولة واحدة (تعليم عام وتعليم أصلي) لتفادي انقسام المجتمع إلى نخبتين مختلفتين في التوجه الفكري؛ مما يولّد صراعات نحن في غنى عنها. في حين يرى مؤرخون ومسؤولون عاصروا تلك الفترة أن هناك تيارات يسارية وفرنكفونية داخل السلطة تتخوف من تنامي التيار المحافظ أو اتساع

(1) في يوم الأربعاء (21) ذي القعدة (1389هـ)، الموافق (28) جانفي (1970م) قام رئيس مجلس الثورة والحكومة «هوارى بومدين» بتدشين مبنى المعهد الإسلامي بالوادي. (لوح التدشين الرخامي بالمؤسسة).

نطاق حَمَلَةِ المشروع الإسلامي، واعتبرتُ التعليم الأصلي خزانًا للفكر المحافظ، فضلاً عن المخاوف المتعلقة بالقدرة على توظيف خريجي هذا النظام مستقبلاً.

وهكذا تمّ سنة (1978م) تم دمج التعليم وإلغاء التعليم الأصلي؛ فعمل الشيخ زغودة أستاذًا للغة العربية بمتوسطة البشير الإبراهيمي بـ «قمار»، ثم بثانوية عبد الكريم هالي بـ «قمار» أيضاً، وفي سنة (1992م) أحيل على التقاعد، وتفرغ نهائياً للأعمال الأدبية والفكرية والكتابة والقراءة.⁽¹⁾



رابعاً: فضائله

يصعب عليّ أن أجمع سجايا وفضائل الشيخ محمد التجاني زغودة، لكنني أكتفي بعرض بعض الخطوط العامة التي تمثّل عناوين كبرى لما تميّز به من مناقب وقف عندها كثيرٌ ممن عرفه حقّ المعرفة. وهي:

(أ) الالتزام الأخلاقي:

وهذا الالتزام جاء نتيجة المعدن الطيب الأصيل؛ حيث ينحدر الشيخ من أسرة عريقة قرآنية ملتزمة، فنال حظاً وفيراً من التربية الجيدة والنشأة السويّة، وكيف أنّ والده حرص - حماية له - على عدم إدخاله للمدارس الفرنسية، وفرّغه للقرآن الكريم والتعليم الأصيل.

ومن جهة أخرى قد يكون للعمل التجاري الذي انخرط فيه صغيراً نصيبٌ في هذا الالتزام؛ حيث يتنظم عمل المحل التجاري في مواعيده، ويزن البضائع بأمانة معهوده، ويأخذ من الزبائن حقّه ويعطيهم حقوقهم وفق مقتضيات

(1) «مرايا: حديث في الثقافة والجمال والفنون» مقالات"، بشير خلف، ص(138).

العدل والأمانة. ولقد كان التجار من أهل «وادي سوف» مضرب المثل في شتى البقاع بالأمانة والصدق والانضباط.

(ب) المهمة العالية:

رغم عدم التحاق الشيخ «زغودة» بالدراسة النظامية في صغره إلا أن همته العالية دفعته إلى استدراك ما فاتته؛ فالتحق بالزيتونة كبيراً، ولما ساءت الأوضاع من حوله، وحاصرته الالتزامات المتعددة وانقطع عن الدراسة لم يستسلم، وبقي يناضل إلى أن تحقق مرغوبه وواصل الدراسة بعد الاستقلال في المركز الجامعي بـ«قسنطينة» وقد تجاوز الأربعين من العمر. هذه المهمة العالية -نادرة الوجود- كانت ميزة العظماء على مدار التاريخ.

(ج) الاستقلال الفكري:

لم يكن الشيخ حريصاً على إظهار مرجعيته الفكرية أو السياسية أو الدينية، مثلاً نشهد في أيامنا هذه من التهافت في هذا الشأن بما يؤكد هشاشة الرصيد المكتسب؛ حيث يحرص الواحد على افتعال مسالك متعددة لإظهار أنه ينتمي إلى مؤسسة معينة، أو شيوخ معروفين، ونحو هذا من مظاهر تكريس التبعية، واستجلاب التقدير بالواسطة.

على العكس تماماً؛ فقد كان الشيخ «زغودة» ينتقد بحدة طريقة التعليم التقليدية القائمة على الإلقاء والحفظ، والتي كانت سائدة بجامع الزيتونة أيام كان طالبا فيه، وآخذاً لأهمّات العلوم عن أساطينه.⁽¹⁾ كما لم يكن ممن يحرص

(1) قال لي هذا أثناء لقائي معه على هامش الندوة الفكرية الرابعة للجمعية الثقافية للمركز الثقافي محمد ياجور بـ«فهار» في (26) ديسمبر (2004م) والتي خصّصت لدراسة سيرة وفكر وآثار الشيخ العلامة محمد الطاهر التليلي، في مناسبة الذكرى الأولى لوفاته.

على إظهار صداقته بزعماء سياسيين أو علماء مرموقين، وإنما كان يتصرّف وفق مقتضيات الموقف وما يتطلبه من معلومات، بل تحسّ أنه يتعمّد عدم إظهار اختياراته، وهذا في الحقيقة دليلٌ على الاستقلال الفكري من جهة، وعلى الحكمة في التعامل مع الناس من جهة أخرى؛ إذ نجد في الحياة أناسا يناصرون آخرين العداء لمجرد كونهم ينتسبون إلى مذهب معين أو اتجاه خاص في أمور الحياة.

(د) الوطنية الصادقة:

هكذا كتب الأستاذ «زغودة» ونشر عام (1939م)، وهو دون العشرين من العمر: "الجزائر هي بلادي، وبلاد آبائي وأجدادي من قبل، وهي مسقط رأسي، وهي موطن نشأتي، وهي البلد الذي قضيت فيه السنين الأولى من حياتي. انتقل أبي من الجزائر إلى تونس، واتخذ من «بنزرت» مستقراً، وحملني معه صغيراً في عهد الطفولة، فأنا جزائري الأصل، جزائري المولد، جزائري النشأة، جزائري الطفولة الأولى.. وبالرغم من طول المدّة، وبعد الشقّة؛ فلي حيناً إلى الجزائر، ولي عاطفة خاصة لكل ما هو جزائري، يسرني كلّ ما يسرّ الجزائر، ويؤلمني كلّ ما يؤلمها، ويبكيني كلّ حادث مكروه يصيبها".⁽¹⁾

وفي ندوة الشيخ التليبي عام (2004م) وقد تجاوز الثمانين من العمر، طلب إتاحة الفرصة لقراءة مقتطفات من شعر الشيخ المذكور، ثم قال: «... تزيدكم تلك المقتطفات معرفة بتفكيره وشعوره وعواطفه، وصلة كلّ ذلك بهموم مجتمعه في العهد الاستعماري البغيض؛ لتزدادوا له تقديراً، وليزداد شبابنا الذي نشأ في ظل نعمة الاستقلال وظلاله الوارفة وعيشه الهنيئ تقديرًا وإجلالاً لتضحيات

(1) "نحن كل للجزائر"، محمد التجاني زغودة، جريدة البصائر، السنة الرابعة، العدد (159)، الجمعة (9) صفر (1358هـ)، (31) مارس (1939م)، ص(4).

أولئك الرجال من الوطنيين المجاهدين الشهداء، الذين باعوا أنفسهم رخيصة في سبيل إنقاذ هذا الوطن وانتزاعه من قبضة وبرائث الطغاة البغاة؛ فلتحافظوا على هذه الأمانة ولترعوها حق رعايتها، فإنها أمانة الشهداء في أعناقكم»⁽¹⁾.

كانت تلك الكلمات في البدء والختام كافية لتصوّر لنا الحياة المفعمة بالوطنية الصادقة التي ملكت على الشيخ جوانحه، وجعلته يستشعر الواجب نحو هذا البلد العزيز، ويسعى بكل ما أوتي من قوة في بثّ هذه المعاني الإيجابية في الأجيال الناشئة، بغض النظر عمّن ارتضى أن يكون عبئاً على الوطن، أو من اتخذ من الوطنية شعاراً يستدرّ به المنافع والوجاهة الزائفة والمصالح الضيقة، أو من بلغ به التماهي في الغواية إلى أن يكيد لوطنه ويتآمر عليه.

(هـ) التمكن في التخصص:

عرّف الشيخ «زغودة» بالتفوّق في اللغة العربية نطقاً وكتابة؛ حيث يتميز بالقدرة على تطوير اللغة وإرجاع المفردة إلى أصلها.. وقد كان يُضرب به المثل في ذلك، ويهابه الطلاب، كما كان يعود إليه المعلّمون والأساتذة في كل ما يستعصي عليهم فهمه في قضايا اللغة العربية.

قال عنه الأستاذ بشير خلف⁽²⁾: "رجلٌ من رجالات العلم والتربية بمنطقة

(1) "الشيخ العلامة محمد الطاهر تليلي كما عرفته"، محمد التجاني زغودة، مرجع سابق، ص(18).

(2) هو بشير بن بلقاسم بن حمد خلف، الفخاري، السوفي، المربي، الكاتب، والأديب. ولد بـ «فهار» عام (1941م) حيث نشأ وتعلّم، واشتغل في التعليم في عناية والوادي، وشارك في ثورة التحرير مما عرّضه للسجن، وترقى وظيفياً إلى رتبة مفتش، كان له إسهام مبكر في الفكر والثقافة والأدب مطلع السبعينيات، واستمر في الكتابة والنشر ولا يزال؛ فأصدر عشرات الكتب ومئات المقالات، كما ترأّس لسنوات الجمعية الولائية للفكر والإبداع التي أثّرت المشهد الثقافي بعدد كبير من الندوات والإصدارات. من مؤلفاته المنشورة: "ظلال بلا أجساد"، "أخاديد على شريط الزمن"، "الأعمال غير الكاملة"، "المجتمع المدني: بدعة دخيلة أم ضرورة اجتماعية؟"، "إيقاعات على الرمل"، "بحثاً عن ثقافة الحوار مع الذات ومع الآخر"، "ترانيم في حضرة القبح"، =

وادي سوف... كان مرجعاً قوياً في اللغة لكلّ الباحثين ورجال التربية والتعليم.. مكانة مميزة جداً كان يحتلّها، ولا يزال، وهو طيب الذكر لحدّ الآن لدى الجميع، ويذكر بخير في كل المناسبات.. اللهم ارحمه وجازه أوفى الجزاء".⁽¹⁾ وقال عنه أيضاً: "ومن علماء «فهار» المرحوم الشيخ محمد التجاني زغودة الذي تولّى فرع إدارة المعهد الإسلامي بالمدينة والتدريس به، وقد كان حجة في اللغة العربية وآدابها".⁽²⁾

(و) التواضع ونكران الذات:

عرّف الشيخ «زغودة» بين الناس بالتواضع الجَمِّ مع عزة النفس، فلم يُعهد عنه أنه يبتغي علواً ولا فخراً، ولم يكن منشغلاً بما حصّله الناس من مكاسب، حيث لا تُبهر أضواء الشهرة عينيه، بل لا يجد لنفسه مكاناً في مجالس المفاخرة، إنّه يرى قيمته الحقيقية في أداء واجبه، والاشتغال بما يمليه عليه ضميره. ولم يكن نكران الذات علامة ضعف عنده، بل يعدّه قمة القوّة والسمو الأخلاقي؛ لأنه يترك في النفوس الأثر العميق، دون أن يخلف وراءه مطلباً يتطلّع إلى المديح أو يتشوّف إلى التكريم، إنه كالغيث النافع؛ يحيي الأرض ويمضي دون أن ينتظر شكراً من أحد.

(ز) التفاني في العمل:

وقد لمست هذه السجية من خلال ما أخبرني به عددٌ من تلاميذه ممن ينقلون

= "تغاريذ قلم"، "حياتي في دائرة الضوء"، "على أجنحة الخيال"، "الجمال فينا ومن حولنا"، "الكتابة للطفل بين العلم والفن"، "حوارات في الفكر والثقافة والأدب والتربية"، "لا قليل من الفرح"، "مرايا: حديث في الثقافة والجمال والفنون"، و"وقفات فكرية"... ينظر كتابه: «حياتي في دائرة الضوء».

(1) «مرايا: حديث في الثقافة والجمال والفنون» مقالات"، بشير خلف، ص (135).

(2) «حياتي في دائرة الضوء»، بشير خلف، ص (15).

مواقف متعددة عن الشيخ زغودة وهو يشجّع ويرفع المعنويات، وتارة يوبّخ ويعاقب التلاميذ؛ لأجل الانضباط أكثر في التحصيل، والعناية باللغة العربية، وحفظ الشواهد والنصوص البليغة؛ وكان الشيخ متفرّغاً لوظيفته تمام التفرّغ، بحيث أعطى وظيفته التعليمية مُهجة الفؤاد، وعزيز الأوقات.



خامسا: وفاته

تداعت صحة الشيخ محمد التجاني زغودة في سنواته الأخيرة تحت ثقل العمر، حتى أضحى الشعور بالوهن رقيقاً لا يفارقه. ثم لم يلبث أن دهمه المرض ولازمه لثلاثة أشهر متصلة، كان يستشعر خلالها دنو أجله، ويردد بقلب موقن: "هذا مرض الموت".

وهكذا توفي الشيخ يوم السبت (20) شوال (1427هـ) الموافق لـ (11) نوفمبر (2006م)، ودفن في مقبرة «فمار»، وشارك في توديعه في جنازة مهيبة أكثر أهل المنطقة من التلاميذ والرفقاء والمحبين؛ فرحة الله عليه رحمة واسعة، ونسأله سبحانه أن يتقبله في الصالحين، ويكرم مثواه، ويبارك فيما تركه من آثار.⁽¹⁾



سادسا: آثاره

رحل الأستاذ زغودة بجسده، لكنه ترك خلفه أثراً خالداً لا تمحوه الأيام؛ فقد غرس أثناء حياته بذور العلم والمعرفة، وأثمرت أعماله جيلاً وفيراً من

(1) «مرايا: حديث في الثقافة والجمال والفنون "مقالات"»، بشير خلف، ص(140)؛ «أعلام من فمار»، التجاني العقون، ص(117).

التلاميذ الذين نهلوا من علمه، واهتدوا بفكره، وحملوا شعلة مبادئه؛ فلم يكن مجرد أستاذ يلقّن دروساً مقرّرة، بل كان مربياً فاضلاً، وشمعة تُضيء طريق السالكين نهج العلم والمعرفة. وإن عطاءه -رحمه الله- سيقى ممتداً في كل نبتة علمٍ سهر على رعايتها.

كما ترك الشيخ بعض المؤلفات منها⁽¹⁾:

1. رسالة «خلاصة ما جاد به الزمن من أخبار سيدي خليفة بن حسن». موضوع هذه الرسالة التي بين أيدينا.

2. محاضرة: «الشيخ العلامة محمد الطاهر التليبي القماري كما عرفته»، منشورة ضمن كتاب: العلامة المصلح محمد الطاهر التليبي (1910-2003) قراءات في سيرته وفكره وآثاره، لمجموعة من المختصين، إشراف وتنسيق: عادل محلو، تصدير: أ.د. أبو القاسم سعد الله، الجزائر: إصدارات الجمعية الثقافية للمركز الثقافي محمد ياجور بـ«فهار»، طبع: شركة مزوار للطباعة والنشر والإشهار والتوزيع بالوادي، (2005م). ص ص (5-24).

3. "مذكرات شخصية". لا تزال مخطوطة محفوظة عند عائلته.

4. "تقايد تاريخية". لا تزال مخطوطة محفوظة عند عائلته.

5. مقالات كثيرة في عدد من الجرائد التونسية كـ «الأسبوع»، و«النهضة»، و«الزهرة». وأخرى في جريدة «البصائر» التي تصدر عن جمعية العلماء المسلمين

(1) «مرايا: حديث في الثقافة والجمال والفنون "مقالات"»، بشير خلف، ص (139)؛ «أعلام من فهار»، التجاني العقون، ص (117).

الجزائريين، وفي مجلة "المنبر الثقافية" التي كانت تصدرها الجمعية الثقافية بـ«قمار». ومما وقفنا عليه منها:

- "اسمعوا ما يقال عنكم"، البصائر، السنة الرابعة، العدد (165)، الجمعة (22) ربيع الأول (1358هـ)، الموافق (12) ماي (1939م)، ص(3).
- "تعاليق وملاحظات، صيام الصيف وأقسام الصائمين"، جريدة الأسبوع، تونس.

- "نحن كل للجزائر"، البصائر، السنة الرابعة، العدد (159)، الجمعة (9) صفر (1358هـ) الموافق (31) مارس (1939م)، ص(4).



المطلب الثاني:

التعريف برسالة «خلاصة ما جاد به الزمن من أخبار سيدي خليفة بن حسن»

وسوف نتطرق في هذا المطلب إلى العناصر الآتية:

أولاً: وصف الرسالة، ونسبتها إلى المؤلف.

ثانياً: سبب التأليف.

ثالثاً: منهج المؤلف في رسالته.

رابعاً: محتويات الرسالة.

خامساً: مصادر الرسالة.

سادساً: وصف النسخة المعتمدة.

سابعاً: منهجية خدمة الرسالة.

ثامناً: صور عن صفحات من المخطوط.



أولاً: وصف الرسالة، ونسبتها إلى المؤلف

الرسالة بعنوان: «خلاصة ما جاد به الزمن من أخبار سيدي خليفة بن حسن»، هكذا أثبتَ عنوانها مؤلّفها في أوّل سطر فيها، وجاء في آخر سطر فيها تاريخ تحريرها واسم محرّرها في غاية الوضوح: «كتبه بقمّار في (25) جمادي الثانية (1409هـ) الموافق لـ (12) يناير (1989م)، فقير ربّه الراجي عفوه: محمد التجاني زغودة».

ثانيا: سبب التأليف

بيّن المؤلف أن بسبب تحريره لهذه الصفحات يعود إلى السؤال والإلحاح الذي وجده عند بعض الطلاب، وأنه وجد صعوبة في تلبية طلبهم لأسباب متعددة. أوضح هذا في المقدمة قائلا:

"فقد سألني بعض نجباء الطلاب، أن أحرّر لهم خلاصة عن العلامة شيخ فقهاء عصره ویتیمه دهره: سيدي خليفة بن حسن الشماري، وأحوال العصر الذي عاش فيه رحمه الله ورضي عنه؛ وقد توقفت طويلا دون إجابة طلبهم؛ لقصر باعي في هذا الميدان، ولصعوبة تناول هذا الموضوع تناولا تاريخيا؛ لانعدام المراجع التاريخية الموثوق بها، والتي يصح الاعتماد عليها، ولضياع تراث هذا العلامة الجليل؛ حيث انتهت الأيدي الجاهلة بقيمته العلمية والتاريخية، وباعته على ما يظهر بثمن بخس دراهم قليلة في سوق الكساد.

وإنه لمن سوء الطالع، ونكد الدهر؛ أن يضيع تراث ثمين له قيمته وأهميته في تاريخ الفقه الإسلامي وتاريخ بلدنا ومنطقنا الثقافي، فقد كان سيدي خليفة بن حسن علما من أبرز أعلام المدرسة الفقهية المالكية الإفريقية في القرن الثاني عشر الهجري.

هذا، وأمام الإلحاح المتكرر والمتجدد، لم يسعني إلا أن أحاول وبإمكانات ضعيفة وقليلة من خوض هذا العباب الزاخر، ولا أزعم أنني سأقوم بدراسة حقيقية في الموضوع، وإنما هي مجرد لقطات ومقتطفات جمعتها من هنا وهناك؛ قد يكون فيها الغث والسمين، ولا فضل لي فيها إلا الجمع ومحاولة التنسيق."

وإنَّ المبرّر الذي ذكره الشيخ وجيه جدًّا؛ حيث إننا إذا بحثنا في المكتبة عن ترجمة وافية للشيخ خليفة بن حسن فإننا لا نجد لها، حيث اكتفى أكثر الكاتبيين بأسطر قليلة نظرًا لشحّ الأخبار المتعلقة بهذه الشخصية؛ مما يقتضي تكثيف الجهود أكثر، والبحث في المخطوطات -إن وُجدت- لعلنا نقف على مزيد من البيان لتكتمل الصورة في عرض ما يتعلق بهذه الشخصية الكبيرة⁽¹⁾، التي قال بشأنها الشيخ إبراهيم العوامر (توفي 1351هـ/1932م): "وكان سيدي خليفة المذكور صاحب باع طويل في الفقه لا يجارى في زمانه، وخصوصًا في جمع النظائر والأشباه. وكان خالص العقل، محرّر النقل، مسلّم له ما يدّعيه من غير مطالبة بحجّة لما عُرف من ورعه. وله القدم الراسخ في التصوّف، ومعرفة كلام القوم وأحوالهم ودرجاتهم. وكان صاحب اعتقاد في الفقراء يخدمهم بنفسه، ويبذل لهم ما يجده".⁽²⁾



(1) من المؤلفات التي تطرقت لترجمة الشيخ خليفة بن حسن الثماري: «معجم أعلام الجزائر»، عادل نويهض، ص(182)؛ «أعلام من سوف في الفقه والثقافة والأدب»، سعد العمامرة، وأحمد منصوري، ص(15-16)؛ «شخصيات جزائرية - مواقف وآثار ونصوص»، د. مسعود كواقي، ص(163-173)؛ «أعلام من ثمار بوادي سوف»، التجاني العقون، ص(413-416)؛ «أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المخطوطة والمطبوعة»، محمد يسكر (241/1-242)؛ «مرجع الفروع إلى التأصيل من الكتاب والسنة والإجماع الكفيل»، محمد باي بلعالم (21/1-28)؛ «تاريخ الجزائر الثقافي»، سعد الله (77/2-79).

هذا، إضافة للرسائل الأربعة التي أفردت الشيخ خليفة بالترجمة وإن طُبِعَ الجميع الإيجاز وهي:

(أ) «إنحاف القارئ بحياة الشيخ خليفة بن حسن الأقمري»، للشيخ محمد الطاهر التليلي (1941-2003م).

(ب) «سيدي خليفة بن حسن الفقيه الكبير»، للشيخ أحمد عبد الباقي مفتاح (1920-1986م) «مخطوط».

(ج) «نبذة لطيفة في حياة الشيخ خليفة»، للشيخ عبد المجيد حبة (1911-1992م) «مخطوط».

(د) «خلاصة ما جاد به الزمن...»، للشيخ محمد التجاني زغودة، رسالتنا هذه.

(2) «الصروف في تاريخ الصحراء وسوف»، ص(145).

ثالثاً: منهج المؤلف في رسالته

أعدَّ المؤلف رسالته على أنها محاضرة تقدّم قراءة شاملة عن أبرز محطات حياة الشيخ خليفة بن حسن التي شحت بها أكثر المصادر التاريخية، وقد سلك منهجية مركبة تجمع بين التاريخ، والتراجم، والتحليل النصي الفقهي.

- المنهج التاريخي البيوغرافي (منهج التراجم): وتجلّى في تتبع سيرة الشيخ العلامة «خليفة بن حسن» من حيث النسب، والنشأة، والرحلة العلمية، والمكانة الدينية، بالإضافة إلى رصد امتداده الأسري (الأبناء والأحفاد)، مع ربط شخصيته بالسياق التاريخي العام من خلال دراسة أبرز أحداث عصره والتحوّلات التي شهدتها المنطقة في فترة حياته.

- المنهج الوصفي التحليلي: واستُخدم للتعريف بأعمال الشيخ العلمية، وبخاصة نظمه البارز «جواهر الإكليل على مختصر خليل»، حيث تمّ تحليل هذا الأثر العلمي وإبراز وظيفته التعليمية في تيسير العلوم الفقهية، فضلاً عن تقديم قراءة معرفية نقدية في النظم للوقوف على خصائصه الفنية والعلمية وما تميّز به.

- المنهج التوثيقي (الببليوغرافي): وذلك من خلال تتبع حركة انتقال النظم من المخطوط إلى المطبوع، ودراسة مسار طباعته ونشره وتداوله بين أهل العلم. وهكذا يزاوج البحث بين أصالة الترجمة التاريخية للشخصية، والعناية بالنصّ الفقهي المنظوم دراسةً وتوثيقاً وتحليلاً.



رابعاً: محتويات الرسالة

بعد المقدمة التي أوضح فيها سبب كتابة هذه الرسالة، والمبررات المقتضية تقديم لمحة عن الشيخ خليفة بن حسن وأعماله؛ فاستهلّ بالتساؤل عن شخصية

الشيخ العلامة خليفة بن حسن، من حيث النسب، الدراسة، المكانة العلمية، والدينية، وكذا: أبنائه وأحفاده، ثم قدم لمحة عن أبرز أحداث عصره وما شهدته المنطقة في فترة حياة الشيخ خليفة بن حسن. ليتقل بعدها إلى التعريف بأعمال الشيخ وخاصة نظم جواهر الإكليل على مختصر خليل، مبرزاً أهمية هذا النوع من التأليف لتسهيل العلوم، ليصل إلى نظم الشيخ خليفة لمختصر الشيخ خليل بن إسحاق الجندي، وكيف تم طبعه ونشره، ثم قدم قراءة معرفة بهذا النظم وما تميز به.



خامساً: مصادر الرسالة

من خلال تصفح مضمون الرسالة يظهر أن الشيخ زغودة استفاد في تحرير عمله من الكتب الآتية:

□ «جواهر الإكليل نظم مختصر الشيخ خليل» للشيخ خليفة بن حين، طبعة الباروني بمصر.

□ «الصّروف في تاريخ الصحراء وسوف» للشيخ إبراهيم العوامر (توفي 1932م)، والظاهر أنه اطلع على نسخة مخطوطة، وأخرى مطبوعة.

□ «إتحاف القارئ بحياة الشيخ خليفة بن حسن الأقماري» لمحمد الطاهر التليلي (توفي 2003م)، ويظهر أنه رجع للنسخة المخطوطة، حيث إن هذا الكتاب لم يكن مطبوعاً عام (1989م) وهو تاريخ تحرير هذه الرسالة.



سادساً: وصف النسخة المعتمدة

تقع الرسالة في (18) ورقة، وفق مقاس (21) × (31) سم، ومتوسط الأسطر في الصفحة الواحدة (32) سطراً، وفي كلّ سطر حوالي (12) كلمة.

والخط الذي حرّرت به الرسالة خط عادي حديثٌ وواضحٌ يقترب كثيراً من خط الرقعة، أثبت المؤلف العنوان في أول سطر: «خلاصة ما جاد به الزمن من أخبار سيدي خليفة بن حسن». وجاء في آخر سطر في الرسالة: «كتبه بقمّار في (25) جمادي الثانية (1409هـ) الموافق لـ (12) يناير (1989م)، فقير ربّه الراجي عفوّه: محمد التجاني زغودة». وقد زوّدني مشكوراً بصورة عن الرسالة فضيلة الشيخ عبد الباقي مفتاح القمّاري. ولأجل التأكد من وجود نسخ أخرى من عدمه حصلتُ على نسخة ثانية عن طريق الأستاذ الباحث التجاني بن حسن، وأخرى عن طريق الدكتور محمد ماني، وكلّها صور طبق الأصل عن نسخة واحدة، وقد رمزت لها بـ «م».



سابعاً: منهجية خدمة الرسالة

- يمكن أن أوجز عملي في إخراج هذه الرسالة من خلال النقاط الآتية:
1. التعريف بشخصية المؤلف الأستاذ الشيخ محمد التجاني زغودة ومكانته.
 2. بيان منهج المؤلف في تحرير هذه الرسالة، مع تقديم تعريف موجز عنها.
 3. التعليق على بعض الأخبار والأحكام، وكذا ربطها بمصادرها المتوفرة بحيث توثّق الاقتباسات، وتُصحح الأقوال.
 4. الترجمة الموجزة للأعلام الوارد ذكرهم في المتن.
 5. وضع عدد من الفهارس المتنوعة، التي هي مفاتيح مساعدة للقارئ تسهّل استفادته من الكتاب ومضامينه.



ثامنا: صور عن صفحات من المخطوط



الورقة الأولى

أنه تافع، وقيل من غير هذا، ولكن الغلبة كانت بأخيرة لقوات صالح أبي اذ نعم الاعتراف
بسلطته وفوضه على تغرت وباعه لأم من طرف الجلابيين، وبعد أن تم له ذلك أقبل على
الامارة الشيخ محمد ابن الشيخ احمد بن جلاب عوضا عن الشيخ فزحات المنهمم والفرى
صار دته وغلول فمستقرات صالح أبي واسمته عند اكبر امم ابتلاءه وقوادس

الحزب به الوادي.

وهذا بجمل الأحداث التي عامها الشيخ سيدي خليل في حش، وقد يكون تهرده بعضا،
الا ان المصادر التاريخية لم تذكر له مشاركة فيها، ولا موقعها معينا منها، مما يدل على
انه كان منفرقا لتوحيده الخاصة بمسأى عن هذه الفتى التي نهارها كليلها، مقبلا على
قيامه به مستخلا بما كرس له حياته من تعليم وتاليف، وذلك شأن أغلب العلماء
والصالحين أيام الفتى.

مواهر الاكليل على مختصر خليل

قبل الحديث مفصلا عن مختصره مواهر الاكليل على مختصر خليل، يذكر بنا ان نعرف باجاز بهذا
المختصر الجليل ومباحه، اما المختصر فهو عبارة عن موسوعة في اللغة المألكى موجزة
العبارة، دقت الاسارة، جمع فيها صاحبها الفروع الكثيرة في العبارات القليلة
صلى كانت عباراته تكون فسرته بالانجاز لا يصل الى فهمها وحلا الاكبار المختصين
واعيان العلماء، وقد حذوا العلوقة خليل من وراء هذا الاختصار الى ان يكون مختصره
ميسرا للمخلف عن فهم تلك، فهو عبارة عن متن مختصر ثم يشرح للمذهب، وليس خليل رحمه
الله يبدع في هذه الطريقة، اذ كانت هي الطريقة المألوفة في عصره والتي سلكها من
قبله ومن جاء بعده في مختلف فروع الشافعية الاسلامية، اذ كانت الدراسة تحقد
أساسا على حفظ متن العلم على انها هي الرصيد العلمي الحافظة للأصول الرئيسية
تصريحا وتلويا او امارة ثم يأتي بعد ذلك الدرس الذي يتكفل بالشرح والتبيان
والتفصيل، وهذا نمى في تاريخ الادب العربي لكونه جديد من الدوا السنخ عرف
بالشعر التعليمي وذلك منذ بدايات القرن الثالث الهجري بدأ ينظم

ابن الاصحى المتوفى سنة 243... كتاب خليل ودعته، لجه الامه بن المنفخ
وتلاه في هذا السياق أبو انصارية فنظم الكثير في الزهد والحكمة، ثم افند هذا
الكون من الشعر أو النظم تشرويتا حيدانه ويتبارى فيه العلماء والارباب
والفكراد وعلماء الحديث والاصول والعربية والبلاغة والقرآت والاحكام
وحتى الفلك والرياضيات فوضعت متون في كل فن تختلف طولا وقصرا وقد
يطول بعضها حتى يصل عشرات الآلاف من الايات ويعصر بعضها عن ذلك حسب
الموضوع، والمتعود من ناضج المتن والمستوى الذي ينظم له، ومن هذا الالفيات
تعود تعددت في جميع فروع العلوم والمعارف وخاصة في الفقه والنحو، وقد وضع

لجنة الحفلات

(17) وكلفت - ولعله من اسرار المهنة - لم يشر الى الجهة او الشخص الذي جعل
 عليها منه. كما ان قوله 11 واخذها محمد بن جسيم « يعني من ان الجهة او
 الشخص الذي اقد منه النسبة كان على صلة بالجهة التي كانت في جهة او
 رلول ذلك لما غالى في علمها ، واعلم ان النسبة المدخولة التي
 اشتملها الناس المصيري ، ومنعت لاهل الوراقين يتونس وتونس كانت لذلك
 الجهد وما بعد « قبله اهل سوف مد مناجد اعماد سيدي تليفات بن حسن
 وان هذا النورق التوسمي بحكم مهنته عرفته في « الحقيقة هذا العاشق
 النقيس فباعه من الناس المصيري بن جسيم - والله اعلم بما كان ، ولعل من
 يأتي بعده نأيدون له مر صدق الغرض في البحث والفتنة ما يساعده على كشف
 كل هذه الشواخص من حياة العارضة سيدي تليفات بن حسن وشخص الجليل
 هو امر الاكليل ، اما انا فعدا مبلغ علمي وغاية جهدي لحد الآن ، ولعلني ان
 احدا العمر اشتر على ورائق او اهل على مطامير اخرى فاعود الى الاضافة او التوضيح
 والله المستعان وضع حليم التوفيق .

كتبه بتماري في 10 جمادى الثانية 1409 الموافق 12 يناير 1989
 فقير / 90 الراحم عمره ، محمد التيجاني زغود

الورقة ما قبل الأخيرة من المخطوط

وهو الرغم من ان مئة جمعا سيدي جليلية بر حسن رحمه الله . كان عود في الزخلة محمدا
 بن مكرم المتنسبين الى السعوف . فان المصادر التي توخرت لنا لم تذكر انتمائه الى الطريقة محمية
 مع ان المردوف من المتصوفات الانشاء التي شيخي عيسى كما لم تذكر المصادر علاقتهم
 بالطريقة التي انتمى اليها فقدت في الانتماء انما بقيت وادي رينج وادي سون
 لعمرو . وكان شيخنا سيدي ابو نصيب احمد النجاشي صاحب السيدي جليلية
 ابن حسن ، اذ كان عمره بعشرين ماضى سنة ١٤٨٠ هـ - ١٧٣٦ م ، عوامات بالبحر
 سنة ١٢٢٩ هـ ١٨١٥ م . وكان اول ذليقة نائب للبرقية النجاشي سيوف
 - صفة الرواية - وهو المرحوم محمد السياسي العمري بادن من الشيخ لنفسه
 انما . زليقة له بعشرين ماضى سنة ١٨١٥ م . ثم عاد بعد الدعية التي سون
 واخذ يشترط الطريقة بحور واجتراد والعت جوس . جوس من الميراث من حمار وتاخرت
 ثم ستر الرعا صرة اخرى للرئاسة الشيخ ماضى رفعة وقد من الميراث من حمار
 عشرة انما من شجرة منهم - ع . ما يقان - من اهل حمار وعامتهم من تاخرت
 بعد الميراث احمد بن سليمان ، وفي الطريق الميراث ماضى جليلية اذ كان جليلية
 الخارج على النجاشي الذي كان وقتئذ في سجنه استجابة انه لم يبق جوزهم وقتئذ
 الحادية والعشرين . ثم اهدت الطريقة النجاشية تفتش من ميراث حمار وازداد
 عدد المتسبين اليها ، زلزلة ملحوظة ، بفضل نشاطه واداءه الاوائل وحاسنهم
 وصدق اعتقادهم ، وافلاهم ، حماد عا الشيخ سيدي احمد النجاشي ان ياب على
 مريدية في بناء زاوية بقرار يكون مركزا لشر الطريقة وجميع شغل
 لم يدرش المتسبين ، مجد اشديدون في تنفيذ ارادة الشيخ بنيت الزاوية
 في سنة ١٢٥٤ هـ ، وكان الخياط الاموي الشيخ السيد محمد / الترنسي
 رحمه الله . فكانت بذلك اول زاوية تقام للطريقة الاممية النجاشية
 على مستوى الوطن . وكل هذه الامهات تقا في حياة الشيخ سيدي جليلية بر حسن
 وفي كل الروايات لم نشر ولوادي اسارة الى مدى علاقتهم بها او موقفهم منها ،
 (انظر ٢)

مما يجدر الانتباه اليه ان وديعة بني هلال استقرت سنة ٨٥٦ هـ ١٤٥٤ م
 على بر سر سبها الاول الحاج سليمان واستمرت ثمانية ايلات بن ازلها وذيول وقسوة
 وصفت مهي و فون الزاوية الترنسية لم تفتت سون سنة ١٨٤٣ م . اذ كان سليمان آخر الزاوية
 الضعيف للقرابة وجميع لذلك هو وادي رينج وسون وغيرهما واجه القوات الغزو الترنسي
 ولكن تفوق العدو في العدة والعتاد وساعدته في القتال والقعدة جعل الكفة تملح لها
 الدور والمضايقة ما تملح جيتي آخر بني هلال ، واغنى الامر سليمان بن جليلية مدة ثم التقى
 بالوادي واتاح له باختره من الرض وبعثا ليا له ابتاعه واشتراه فزعة الالتقاء بالبلاد الترنسية
 فالتحق بها فاقا بترقيته حتى بلغ ما صحت سنة بلاد الجريد وكان ذلك آخر العهد به . ما صار له
 في هلال وسجود سريرة الملكة والكلوت ليرتد من سبها ونزعه بحر سبها لامتت بلكه جليلية

القسم الثاني: (التحقيق والتعليق)

خُلَاصَتُهُمَا مَا جَاءَ بِمَا لَزِمَ
مِنْ أَحْبَارِ سَيِّدِي خَلِيفَتَا بَنِي أَحْسَنِ

للأستاذ محمد التجاني زغودة القماري، السُّوفي، الجزائري
المولود عام (1338هـ/1920م)، والمتوفى سنة (1427هـ/2006م)

تحقيق وتعليق

لِبَرِّهِمْ بَنِي مُحَمَّدٍ الْأَمِينِ رَحْمَتُهُمَا

[مَقَدِّمَةٌ]

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على النبي المصطفى الكريم، وآله وصحبه والتابعين،

وبعد:

فقد سألتني بعض نجباء الطلاب، أن أحرّر لهم خلاصة عن العلامة شيخ فقهاء عصره ویتیمه دهره: سيدي خليفة بن حسن الشماري، وأحوال العصر الذي عاش فيه رحمه الله ورضي عنه؛ وقد توقّفت طويلاً دون إجابة طلبهم؛ لقصر باعي في هذا الميدان، ولصعوبة تناول هذا الموضوع تناولاً تاريخياً؛ لانعدام المراجع التاريخية الموثوق بها، والتي يصحّ الاعتماد عليها، ولضياح تراث هذا العلامة الجليل؛ حيث انتهت الأيدي الجاهلة بقيمته العلمية والتاريخية، وباعته على ما يظهر بثمن بخس دراهم قليلة في سوق الكساد.

وإنه لمن سوء الطالع⁽¹⁾، ونكد الدهر؛ أن يضيع تراثٌ ثمينٌ له قيمته وأهميته في تاريخ الفقه الإسلامي وتاريخ بلدنا ومنطقتنا الثقافي، فقد كان سيدي خليفة ابن حسن علماً من أبرز أعلام المدرسة الفقهية المالكية الإفريقية في القرن الثاني عشر الهجري.

(1) سوء الطالع: هو تعبير مجازي يُقصد به الحظ السيئ وعدم التوفيق في أمر ما. وأصل الكلمة يأتي من علوم الفلك والتنجيم القديمة؛ حيث كان "الطالع" يعود إلى البرج أو الكوكب الذي يولد الشخص عند ظهوره في الأفق، فإذا كان الكوكب في وضعية غير مناسبة، اعتقدوا أن الشخص سيكون ذو "طالع سيئ". أما في الاستخدام المعاصر، فقد تحلّت الكلمة عن بعدها التنجيمي وأصبحت تُستخدم للتعبير عن تتالي الأحداث المؤسفة أو غير المحظوظة دون إرادة من الشخص. أو مصادفة ظروف غير مواتية في وقت غير مناسب.

هذا، وأمام الإلحاح المتكرّر والمتجدّد، لم يسعني إلا أن أحاول وبإمكانات ضعيفة وقليلة من خوض هذا العباب الزاخر، ولا أزعّم أنني سأقوم بدراسة حقيقية في الموضوع، وإنما هي مجرد لقطات ومقتطفات جمعتها من هنا وهناك؛ قد يكون فيها الغثّ والسّمين، ولا فضل لي فيها إلا الجمع ومحاولة التنسيق، ولعلها على الرغم من ذلك لا تخلو من تسليط بعض الأضواء - ولو كانت باهتة - على شخصية هذا الطود الباذخ والعلم الشامخ من أعلام الفقه المالكي بالشمال الإفريقي، إن لم أقل - تواضعًا - بالعالم الإسلامي. بيد أن صروف الزمان وطوارق الحداث قد غفلت وأبقت لنا أثرًا عظيمًا من آثاره، ألا وهو نظمه الجليل الموسوم باسم: «جواهر الإكليل على مختصر العلامة خليل»⁽¹⁾ «⁽²⁾».



فمن هو العلامة خليفة بن حسن؟

كلّ ما وصل إلينا أنّ أسرة سيدي خليفة بن حسن تنتمي إلى عائلة بوغافية⁽³⁾ من عروش «قمار»، ويرجع أصل أولاد بوغافية إلى أولاد سيدي الشيخ

(1) هو خليل بن إسحاق بن موسى، ضياء الدين، الجندي، فقيه مالكي محقق، تعلم في «القاهرة»، وولي الإفتاء على مذهب مالك، وجاور بـ «مكة»، وتوفي سنة (776هـ)، من آثاره: المختصر، التوضيح، والمناسك. ينظر: «الديباج المذهب» (312/1)؛ «الدرر الكامنة» (86/2)؛ «نيل الابتهاج»، ص (112).

(2) ذكر الشيخ التليبي في «إتحاف القارئ» ص (31) أن عنوان الكتاب: «جواهر الإكليل نظم مختصر خليل»، في حين جاء في طبعة الباروني ص (1)، وفي «نبذة لطيفة» للشيخ عبد المجيد حبة ص (3) أن عنوان الكتاب: «جواهر الإكليل في نظم مختصر خليل».

(3) اختلف النسابون في تحقيق نسب أولاد بوغافية؛ حيث أورد الشيخ العوامر في كتابه «الصروف»، ص (323-324) أربعة أقوال، يرجع أحدها إلى القبائل العربية. ويذكر الشيخ التليبي في «فذلكته» أن أولاد بوغافية هم أولاد رجل واحد اسمه: الحاج مبارك، وله أربعة أولاد: حسن، ونيس، محمد لال، وأحمد. ومن ذرية هذا الأخير العالم الشهير سيدي خليفة بن حسن. ينظر: «حاطب أوراق»، سعد الله، ص (179).

بالأبيض⁽¹⁾، ويرجع أصل الجميع إلى سيدنا أبي بكر الصديق - رضي الله عنه⁽²⁾.
ولد رحمه الله بـ «قمار» عام (1123هـ - 1711م)، وانتقل إلى رحمة الله بمسقط
رأسه «قمار» عام (1207هـ - 1793م)، عن عمر يناهز الرابعة والثمانين سنة،
وترك بنين وبنات، لم نعرف منهم بالاسم سوى ابنه الطاهر.

وتتضافر الروايات على أن أولاده تفرّقوا في شتى البلاد، فمنهم من انتقل إلى
منطقة «مزاب»⁽³⁾ واستوطنه، ومنهم من تحوّل إلى «القيروان» بالجمهورية
التونسية الشقيقة واستقروا بها، ومنهم من بقي بـ «قمار» وخاصة البنات منهم.
أما عن نشأته، وأسرته، والعائلة التي نشأ فيها، كذا مكاتته في البلد ثم
مشاركته في أحداث بلده وعصره؛ فهذا ما سكت عن البوح به فَمُ الزّمان،
وأهمله الكاتبون والمؤرّخون.

أما عن آثاره العلمية، فلم يُعرف له غير منظومته على مختصر العلامة خليل،
وبعض المقطوعات المنظومة في مناسبات أخرى مخصوصة، وكلّها تدور حول

(1) قبيلة أولاد سيدي الشيخ بمنطقة «البيض» جنوب «وهران». ينظر: «إنحاف القارئ» للتليلي، ص (19).
(2) هو عبد الله عثمان بن عامر القرشي، أبو بكر الصديق، أول من أسلم من الرجال، صاحب رسول الله ﷺ وخليفته، توفي سنة (13هـ). ينظر: «الإصابة» (271/6).

(3) يرى الشيخ أطفيش أن أصل تسمية «وادي ميزاب» مأخوذة من «الميزاب». ويحتمل أن الأصل الأول للتسمية هو «مصاب»، وسميت «بني مصعب»؛ لأن بعض سكانها من مصعب من زناتة. أما التسمية التي يرى الإباضية أنها أقرب إلى الصواب فهي «ميزاب» ومعناها "أصحاب الميزاب" ويُرجعون تلك التسمية إلى الشيخ الإباضي "أبي بلال مرداس بن حدير (من أئمة الإباضية المعاصرين للإمام جابر بن زيد الأزدي) الذي قام ذات ليلة بدخول الحرم في «مكة»، وجلس تحت الميزاب يدعو ربّه أن يظهر له صحّة دينه؛ فنزلت عليه قطرة ماء من الميزاب، فعّد ذلك استجابة لدعائه. ومن يومها أصبح الإباضيون يقفون في الطواف تجاه ميزاب الكعبة. ومن غير المستبعد أن تكون تسمية الوادي الذي يسكن حوله الإباضية بـ «وادي ميزاب» ترجع إلى آلة للوزن. فالميزاب هو اسم لآلة الوزن، مشتق من كلمة "موزان"، أو مأخوذ من وَزَبَ الماء يَزِب، أي: سال وانحدر. انظر: «الإباضية في المغرب الأوسط» لمسعود مزهودي، ص (58-59).

مسائل فقهية، بيد أن بعض الروايات تذكر أن له زيادة على ذلك نظماً على متن الآجرومية⁽¹⁾ في النحو، وقصيدة في بيان حكم الله في رجل جرح امرأته مخاطباً بها فقهاء «الخنفة» (خنفة سيدي ناجي)⁽²⁾ الذين كان ضدهم في مساجلات مستمرة بشأن ما يصدر من فتاوى اجتهادية أو يُصدرونه هم، وكانوا على ما يظهر كثيراً ما يعترضون اجتهاداته، كما هو الحال في قضية الاستدلال بالأثر (الجرّة) والقضاء به؛ حيث اعترض عليه علماء «الخنفة» في قضية ابن خليل الذي سرق، وضبط أثره بمعرفة عارفي الأثر⁽³⁾، وأفتى الشيخ خليفة - رحمه الله -

(1) «الآجرومية»، لأبي عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي، المعروف بابن آجروم (المتوفى 723هـ). وينظر: الشيخ خليفة بن حسن الأتقاري ومنظومته النحوية، العزوزي حرزولي، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، جامعة الوادي، العدد (5)، عام (2013م)، ص (276-283).

(2) «خنفة سيدي ناجي»: بلدية تابعة لدائرة «زريبة الوادي» شرق ولاية «بسكرة» الجزائرية على ضفاف وادي العرب على سفح جبل. تأسست عام (1602م) من طرف الشيخ مبارك بن قاسم بن ناجي، وسماها على اسم جده تبرّكا به. اشتهرت بزوايتها التي استقطبت طلبة العلم، وكانت محطة لقوافل الحج من «المغرب». ينظر: «تجارب في الأدب والرحلة»، سعد الله، ص (257-264)؛ «معلمة الجزائر»، شرفي، ص (674).

ويظهر أن تسمية المكان بـ «خنفة» غير شائعة في حدود معرفتي إلا في مواضع شرق تونس على الحدود (خنفة بولعابة، وخنفة السلوقي، وخنفة الحازية)، وذهب بعض الكاتنين إلى أنها اسم جغرافي يعني الفجّ، أو المضيق بين جبلين، وهذا الرأي يتفق مع ما أورده صاحب «معجم مقاييس اللغة» (224/2) حيث يقول: «الخاء والنون والقاف أصل واحد يدل على الضيق. فالخائق: الشعب الضيّق. وقال بعض أهل العلم: إن أهل اليمن يسمون الزقاق خانقا...». ومع هذا فهناك مضايق كثيرة بين الجبال ولم تأخذ هذه التسمية؛ مما لا يبعد الاحتمال بأن أصلها: الخانقاه، بالقاف والكاف، جمعها خوانق وخانقوات، والخانقاه كلمة مركبة من أصل فارسي، ومعناها دار التعبد. قال في «المعجم الوسيط» ص (260): «الخانقاه: رباط الصوفية». ولعل هذا ما جعل ابن بطوطة يطلق على الخانقوات التي رآها بمصر لفظ «الزوايا».

(3) بما أن بصائر الأصابع (آثار الأصابع) وهي من قبيل الاستدلال بالعلامات تعتمد عليها العدالة في أحكامها وتعمل بها في تحقيقاتها، فكيف لا يصح بآثار الأقدام (الجرّة). وقد قال العرب في استدلالهم: البعرة تدل على البعير، وآثار الأقدام تدل على المسير. وقد يقصدون بذلك أيضا الدلالة على صاحب المسير. وبين أهل الصحراء وسوف بلغ الكثير منهم مستوى كبير في براعة تحليل آثار الأقدام والتوصل من خلالها إلى التعرف على صاحبها جعلهم خبراء ذوي اختصاص في هذا الميدان ويطلق عليهم اسم عرّافي الجرّة. ومما يدعو إلى التعجب والإعجاب أن عرّاف الجرّة علاوة على اكتشافه للمعتدي اعتمادا على =

بصحة الاستدلال بالأثر، إلا أن ابن خليل لجأ إلى فقهاء «الخنقة»، واستصدر منهم فتوى بعدم صحة الاستدلال بالأثر، فردّ عليهم الشيخ بقصيدة من اثنين وثلاثين بيتاً من بحر الطويل⁽¹⁾ على رويّ اللام، استهلها بقوله⁽²⁾:

سَلَامٌ لَهُ فِي الصَّالِحَاتِ أَصُولٌ ... يُؤَافِيهِ مِنْ عِنْدِ السَّلَامِ قُبُولٌ⁽³⁾

وقد أجاد في استخدام كلمة (سلام)؛ فهي في صدر البيت بمعنى: التحية،

= شكل قدميه (جُرْنَه) قد يتوصل بفضل فراسته إلى استنتاجات أخرى مثل أوصاف المعتدي: طول قامته، قصرها، إن كان أعرج، أو أعور، أو بدينا، أو ضعيف الجسم وغير ذلك. ومثل زمن الاعتداء: ليلاً أم نهاراً، قبل الزوال أم بعده الخ. وتحاشياً للإطالة هنا أكتفي بتقديم نموذج واحد في ذلك. سألتُ مرة رجلاً من عرّافِي الجُرّة على الأدلة التي اعتمدها في الحكم بأن سرقة التمور من غوط فلان جَرَتْ ليلة البارحة لا نهار الأمس فكان بعض ما أذكره من جوابه هو: أولاً: كان على جُرّة السارق آثار مشي الفئران؛ وهي غالباً لا تخرج من جحورها وتنتقل بحرية إلا أثناء الليل. ثانياً: على الجُرّة آثار قطرات الندى؛ والندى لا ينزل إلا ليلاً.

ثالثاً: كانت الجُرّة واضحة المعالم سليمة لم تصادفها ريح نهار الأمس التي لم تهدأ سوى أو الليل الماضي. ومما يحكى عن الاستدلال بالجُرّة أن ضابطاً فرنسياً عندما عُيّن رئيساً للإدارة بـ «الوادي» أراد أن يتأكد من صحة هذا العمل العرفي ليعتمده بدوره في أحكامه. ففي ذات ليلة خلع حذائه وذهب منفرداً مستتراً إلى أحد البساتين القريبة، وقطع عرجون تمر من نخلة صغيرة، ثم عاد إلى منزله. وفي صباح الغد ذهب صاحب البستان إلى الإدارة يخبرها بالاعتداء على بستانه؛ حتى تتخذ الإجراءات للكشف عن المعتدي. فأرسل الضابط من محضر الخبير (عرّاف الجُرّة) كعادة أهل البلد في مثل هذا الحادث. ولما حلل عرّاف الجُرّة الآثار توصلَ نهائياً إلى اكتشاف صاحبها الذي هو الضابط. قيل: قد أعجب الضابط المذكور بفراسة الخبير واتخذ من ذلك اليوم خبيراً رسمياً في هذا الميدان. «الصروف في تاريخ الصحراء وسوف»، ص (143) "الحاشية".

(1) البحر الطويل: يُعد البحر الطويل أكثر بحور الشعر العربي استخداماً في تاريخ الأدب؛ لِمَا يتميز به من اتساع، وقدرة على استيعاب المعاني الطويلة، والقصص، والحكم. يمتاز بنغم رصين، فخم، وجاد. يتكون البحر الطويل في أصله من ثماني تفعيلات في البيت الواحد (أربعة في الصدر وأربعة في العجز)، وتفعيلاته هي: «فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ × 2».

وحفظ نغمته، وضع له العروضيون مفتاحاً مشهوراً يُعنى عليه:

طَوِيلٌ لَهُ دُونُ الْبُحُورِ فَضَائِلٌ ... فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ

(2) «الصروف في تاريخ الصحراء وسوف»، ص (144).

(3) هكذا أوردها (قُبُولٌ)؛ وهي في «الصروف»، ص (144)، وفي «إنحاف القارئ» ص (53): وُصُولٌ.

وفي عجز البيت: اسمٌ من أسماء الله الحسنى.

وفيهما يقول مخاطباً فقهاء الخنفة:

عَفَا اللَّهُ عَنْكُمْ حُكْمَكُمْ كَيْفَ وَجْهُهُ .. لِنجَلِ خَلِيلٍ بِالْبَرَاءِ فَقُولُوا
تَمَسَّكْتُمُو بِالْأَصْلِ وَالْحَقِّ وَاضِحٌ .. وَمَا يُنْكِرُ الْمَعْلُومَ إِلَّا جَهُولٌ⁽¹⁾
وَلَكِنْ إِذَا عَمَّ السَّدَادُ لِحَادِثٍ .. تَقَدَّمَ أَصْلٌ وَالْقِيَامُ دَلِيلٌ⁽²⁾
كَتَضْمِينِ سِمَسَارٍ وَتَغْرِيمِ صَانِعٍ .. وَهَلْ هُوَ إِلَّا وَادِعٌ وَوَكِيلٌ⁽³⁾

ويختتمها بقوله - رحمه الله -:

وَصَائِغُ أَبْيَاتِ الطَّوِيلِ خَلِيفَةٌ .. عَلَيْكُمْ سَلَامٌ مِنْ لَدُنْهُ يَطُولُ

ويقال: إنَّ له كنَّاشاً (دفترًا) كبيرًا جمع فيه فتاواه وردوده، ولكنَّ هذا ضاع في

ما ضاع من آثاره.⁽⁴⁾

(1) في «إتحاف القاري»: "تمسكتم" بدل "تمسكتمو"؛ و"الأصل واضح" بدل "والحق واضح"؛ و"ولا ينكر" بدل "وما ينكر".

(2) في «إتحاف القاري»: "الفساد" بدل "السداد"؛ و"أصلا والقياس" بدل "أصل والقيام".

(3) في «إتحاف القاري»: "مودع" بدل "وادع".

(4) يقول عنه الشيخ محمد الطاهر التليبي في «إتحاف القاري»، ص(35): "وهو مجموعة من المسائل والفتاوى الفقهية يقع في نحو ثلاثمائة (300) صفحة من القالب الكبير... وقد بقي هذا الكتاب بخط المؤلف محفوظا مصانا إلى أيامنا القريبة. وآخر عهد الناس به يوم كان عند الأديب السيد محمد بن السائح المشهور عندنا بمحمد الأغربي....".

والشيخ ابن السائح المذكور هو محمد بن محمد بن الطاهر، المشهور بـ «الغريبي» من شيوخ الإصلاح بـ «فهار» و«بسكرة»؛ حيث ولد عام (1898م) بـ «فهار» وبها نشأ، حفظ القرآن ودرس على شيوخ المنطقة، واشتغل بخياطة البرانس، سافر إلى «تونس»، وبعد رجوعه انخرط في جمعية العلماء ونشط فيها، ونُفي إلى «بسكرة» سنة (1934م) من قبل سلطة الاحتلال، ورجع عام (1937م) واستمر في نشاطه، وسجن في أحداث (1938م)، ونُفي إلى «قسنطينة»، ثم تحوّل إلى «بسكرة» وأسهم في هيكلة وخدمة مشاريع جمعية العلماء، ثم في حشد الدعم لثورة التحرير رفقة ولده «علي» الذي استشهد سنة (1957م)، وتعرّض هو =

▣ دراسته:

وتقول الروايات: إنه بعد حفظه للقرآن الكريم بمسقط رأسه «قمار»، انتقل إلى بلاد التل؛ فدرس العلوم العربية والإسلامية بـ «الخنقة» وغيرها، وأخذ عن علمائها وفقهائها.

ويبدو أن «الخنقة» كانت لذلك العهد مركزا مهما من مراكز الثقافة الإسلامية وخاصة الفقه، وكان علمائها عصرئذ مرجع الفتوى؛ بدليل أن أهل «سوف» كانوا يرجعون إليهم فيما يشكل عليهم في الفتاوى والقضايا التي تتطلب النظر والاجتهاد، وخاصة إذا لم يقتنعوا بأحكام القضاة وفتاوى الفقهاء المحليين.

وقيل: إنه دخل «تونس»⁽¹⁾، و«المغرب الأقصى»، واتصل بعلماء وفقهاء القطرين المذكورين، ولا يستبعد ذلك، بل هو الأقرب إذ لم تنفك الرحلة من شأن العلماء والفقهاء. ولم تثبت الروايات انتقاله إلى الشرق العربي وأداءه

= للسجن، وبعد إطلاق سراحه رجع إلى «قمار»، وكانت وفاته بها سنة (1965م). ينظر: «إسهامات بلدة أقمار في الحركة الوطنية والثورة التحريرية»، د. ماني محمد (2/19-22).

هذا، وقد تواصلت مع الأستاذ أحمد بن السائح (حفيد الشيخ لغريبي) القاطن بـ «بسكرة»؛ وسألته عن كنش الشيخ خليفة الذي ذكره الشيخ التليلي؛ فأجابني بأن مكتبة جدّه تعرّضت للتنقل أكثر من مرة في أكثر من موضع بين «قمار» و«بسكرة» و«قسنطينة»، وبعد وفاة الجدّ تمّ توزيعها على الورثة، وما وصله منها تم إهداؤه لمكتبة المركز الثقافي الإسلامي بـ «بسكرة»، ولا يتضمن المخطوط المذكور.

(1) أورد صاحب «معجم أعلام الجزائر خريجي الجامع الأعظم بتونس» (3/280) أنّ الشيخ خليفة بن حسن درس بجامع الزيتونة؛ فأخذ عن الشيخ موسى الجميني وغيره من أعلام الزيتونة حينئذ.

ويظهر أنّ المذكور فيه نظر؛ حيث ذكر الشيخ محمد الطاهر التليلي في «إتحاف القاري»، ص(24) أنّ المروي أخذ الشيخ خليفة بن حسن عن الشيخ موسى الجميني في بلدة «جمنة» التونسية، عند رجوع هذا الأخير من رحلة الحج. وكانت عادة هذا الشيخ عقب رجوعه من الحج تخصيص مجالس علمية يستقبل فيها طلابه وضيوفه من العلماء.

لفريضة الحج، وإن كنا لا نستبعد ذلك أيضًا من فقيه ورع مثله.

وتقول إحدى الروايات:

إن من شيوخه الذين أخذ عنهم:

□ أبو القاسم تريعة المجّوري⁽¹⁾.

ومن تلاميذه:

□ الشيخ أبو القاسم القبّي⁽²⁾، الذي تولّى منصب القضاء بالبلد،

□ والشيخ محمد (بالفتح) بن حمّانة⁽³⁾،

□ والشيخ إبراهيم بن سعد⁽⁴⁾.

والملاحظ بخصوص هذا الأخير - أعني إبراهيم بن سعد - أن الشيخ إبراهيم بن عامر⁽⁵⁾ صاحب كتاب «الصرّوف في تاريخ الصحراء وسوف» عدّه

(1) «إتحاف القاري»، ص (24)؛ «أعلام من فهار بوادي سوف»، ص (29).

(2) هما اثنان؛ الأول: بلقاسم بن القبّي الملقب بـ "الأبيض"، وقد تولّى القضاء في «فهار» ثلاث عشرة سنة على طائفة؛ والثاني: بلقاسم بن القبّي الملقب بـ "الأسود"، وقد تولّى العدالة في حكم ابن عمه بلقاسم الأبيض. «إتحاف القاري»، ص (28)؛ «أعلام من فهار»، ص (195-196)؛ «المنظومة القضائية»، ص (117).

(3) في «إتحاف القاري»، ص (28): الشيخ الأخضر بن حمّانة، وقد تولّى القضاء على طائفة من أهل «فهار». «أعلام من فهار»، ص (69)؛ «المنظومة القضائية»، ص (116).

(4) هو إبراهيم بن سعد الشارف دفين «فهار» توفي سنة (1195هـ/1780م)، وهو من زهاد المتصوفة، وقد أكمل تصوفه بالتفقه. «إتحاف القاري»، ص (25)؛ «أعلام من فهار بوادي سوف»، ص (15).

(5) هو إبراهيم بن محمد الساسي بن إبراهيم بن محمد بن عامر بن صالح الإدريسي الحسني الشريف، ويعرف بـ «ابن عامر»، و«العوامر». ولد خلال عام (1875م) بـ «الوادي»، ونشأ في بيئة عربية محافظة؛ فحفظ جزءاً من القرآن الكريم، وتلقّى دروساً على يد بعض شيوخ «فهار» و«الوادي» في المبادئ النحوية والفقهية، ثم رحل إلى بلدة «نقطة» بالجريد التونسي فدرس بزاوية الشيخ مصطفى بن عزّوز. ثم وتوجّه إلى جامع الزيتونة المعمور، والظاهر أن الشيخ تخرّج من الزيتونة قبل عام (1902م). اشتغل في وظيفة «عدل» بمحكمة «كوينين» عام =

ضمن شيوخ سيدي خليفة بن حسن لا من تلاميذه الذين أخذوا عنه. يقول المرحوم ابن عامر في «صروفه» مترجماً لسيدي خليفة بن حسن بعد أن أورد لاميته الشهيرة في صحة الاستدلال شرعاً بالأثر (الجرّة) التي ردّها على فقهاء «الخنقة» الذين اعترضوا على فتواه في الموضوع (كما تقدّم)⁽¹⁾:

"تتلمذ سيدي خليفة بن حسن على سيدي إبراهيم بن سعد، وسيدي إبراهيم ابن شريط الثماريين - رحمهما الله تعالى -".⁽²⁾ وكانا -أي الإبراهيمان- من أصحاب الكرامات.. حُكي عن الأول -أي سيدي إبراهيم بن سعد أنه قال في يوم عرفات: إنّ فلاناً وفلاناً -لجماعة سمّاهم- فاتّهم الحُجّ؛ فنُقلت المقالة للثاني؛ أي: سيدي إبراهيم بن شريط، فالتفت نحو الشرق وقال: إنّهما في الجبل

= (1910م). ثم ترقى إلى رتبة "باش عدل" عام (1913م)، ثم حُوّل إلى المحكمة الشرعية بـ «الوادي» في الرتبة نفسها عام (1916م). كان الشيخ ابن عامر صاحب شعلة من النشاط، وصاحب رسالة في أي موضع تواجد فيه؛ حيث أحدث تغييرات غاية في الأهمية في سلك القضاء وتصدّى لكثير من مظالم سلطة الاحتلال وأخرجهم بمواقفه التي لا تقبل المراوغة، كما واجه بدروسه العامة مخطط تعليم الفرنسية وإقصاء العربية، وأعلن مخالفته للسلطة في كثير من المواقف التي تعرّض فيها الناس إلى القهر والإذلال. وعوقب بالتنزيل في الرتبة إلى منصب "عدل"، وحُوّل من «الوادي» إلى بلدة «أولاد جلال» بالزاب الغربي من بسكرة، وكان هذا في آخر ديسمبر من سنة (1927م)، وبقي الشيخ في «أولاد جلال» إلى غاية مارس سنة (1930م) حيث حول إلى «تغرت». توفي بـ «الوادي» مساء الأربعاء (14) ربيع الأول عام (1351هـ) الموافق لـ (20) جويلية من عام (1932م). من آثاره: «البحر الطافح في بعض فضائل شيخ الطريق سيدي محمد الصالح»، «مواهب الكافي على التبر الصافي»، «بيان الخطأ الواقع من قصار الخطي»، «المسائل العامرية على مختصر الرحبية»، «الصروف في تاريخ الصحراء وسوف»، «ديوان شعر»، «الأصول الحسان لما به ثبوت صوم رمضان». يراجع في ترجمته: «تاريخ الجزائر الثقافي» لأبي القاسم سعد الله (4/504-506)، و(7/389-393)؛ «معجم أعلام الجزائر»، نوهض، ص (181-182)؛ «الشيخان»، قمعون، ص (9-89)؛ «أعلام من سوف في الفقه والثقافة والأدب»، العمامرة، ومنصوري، ص (30-35).

(1) «الصروف في تاريخ الصحراء وسوف»، إبراهيم العوامر، ص (144).

(2) المرجع نفسه، ص (145)؛ «أعلام من فهار بواي سوف»، ص (20).

-أيّ عرفات- الآن، فتقلت مقالته للأوّل فقال: "الصّوابُ معه"، وهذا أصل العبارة المحرفة: (الصُّوبُ مَعَاكَ أَوْ مَعَاهُ، الدارجة بـ «سوف»)، فقليل له في ذلك، فقال: إنّه يشاهدُ بنفسه، أما أنا فيخبرونني إخبارًا، وكان الأمر كما قالًا، رضي الله عنهما، ونفعنا بالجميع.

ويعقب الشيخ ابن عامر -رحمه الله- قائلا: "ويوجد في السنة بعض العامة أن شيخ سيدي خليفة بن حسن (?) دعا عليه بعدم النفع بعلمه"، وهذه العبارة لا توجد في النسخة المطبوعة من «الصّروف»، ولعلها حذفت تأدّبًا، والأمر لله في ذلك، له الحكم والمرجع، لا معقب لحكمه.⁽¹⁾

ويقول ابن عامر رحمه الله: وللشيخ المذكور -أي سيدي خليفة بن حسن مع شيخيه أمورٌ كثيرة تحتاج إلى تأليف مستقل لا يسعه هذا -أي الصّروف-⁽²⁾.
وتقول الروايات: إن الشيخ خليفة انتصب للتدريس في عدة أماكن؛ منها:

(1) يصرّح محقّق «الصّروف» نجل المؤلّف (الجيلاني العوامر) أنه عثر على مخطوطين لوالده في هذا الشأن؛ الأوّل عبارة عن مسودة شرع فيه سنة (1913م)، والثاني في محتواه العام نسخة من الأوّل غير أنه أدخل عليه بعض التعديلات وشرع فيه سنة (1916م)، وهو المرشح للطباعة. "لذا فإن ما عسى أن يكون قد نسب أو سينسب للمؤلّف من الأقوال في هذا الموضوع غير ما ذكر هنا فالمؤلّف منها براء". راجع «الصّروف» ص(25). ويؤكد هذا المسلك الشيخ حمزة بوكوشة في توطئته للكتاب، ص(22) قائلا: "وهذا الكتاب الذي تقدمه الآن وهو «الصّروف في تاريخ الصحراء وسوف» هو وثيقة تاريخية من الأهمية بمكان، ولها شأن وأيّ شأن إذ لم يمسهّا محققه بأذى من تبديل أو تغيير أو تقديم أو تأخير...".

هذا، وبعد صفحات قليلة في الكتاب المذكور؛ نجد المحقّق يصرّح بأنه أضاف في الكتاب كما في ص(28): "هذا التقديم لبعض الأماكن التي تشتمل عليها منطقة سوف (وادي سوف - بسكرة - ثقوت - ورقلة - غرداية - الأغواط) لم يكن ضمن المخطوط، بل هو من إضافات المعلق"؛ مما يبيّني الاحتمال قائما في شقيه: الأوّل أن العبارة أعلاه والمنسوبة إلى الشيخ العوامر هي من المخطوط الأوّل المعدول عنه، والثاني أن المحقّق رأى الاستغناء عنها لأي سبب. والله أعلم.

(2) غير موجود في النسخة المطبوعة من «الصّروف»، ولعله من النسخة المخطوطة كسابقه.

«الخنقة»، عُشَّ الفقهاء بالجنوب الجزائري لذلك العهد.

□ مكانته العلمية والدينية:

يتفق أهل الذكر ممن لهم تقييدات على سيدي خليفة بن حسن أنه من مواليد «قمار» عام (1123هـ). كما يتفقون على أنه توفي بـ «قمار» عام (1207هـ). وضرجه معروفٌ وقائمٌ بمقبرة البلدة، وعلى هذا يكون قد توفي عن أربعة وثمانين عامًا قمرًا.

ولم أعلم خلافًا بين الرواة في التاريخين المذكورين إلا شبهة تحوم حول تاريخ وفاته، وهي شبهة ضعيفة على ما يبدو، إذ وجد منقوشًا على مدخل ضريحه، حسبما رواه لي فقيد العلم والأدب الشيخ أحمد عبد الباقي مفتاح - رحمه الله⁽¹⁾ أن وفاته كانت سنة (1241هـ).

(1) هو أحمد بن عبد الباقي بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن سعد بن مبارك بن جحيدر، القاري، السوفي، الإمام، الفقيه، ولد عام (1920م) ببلدة «قمار»، في أسرة متدينة، وتعرض لليتم صغيرًا، حفظ القرآن الكريم على يد الشيخ العيد بن أحمد النصري، ولازم مجالس عدد من شيوخ المنطقة، ثم التحق بجامعة الزيتونة عام (1940م)، لكنه اضطرَّ إلى قطع الدراسة والعودة إلى وطنه سنة (1942م) بسبب موت كافله عمّه الحاج علي؛ ليكمل مشواره في التحصيل اعتمادًا على عصاميته، عمل موظفًا في المحكمة الشرعية، وفي عام (1962م) بعد الاستقلال كُلف بمنصب القاضي في «قمار» مؤقتًا، ثم عُيِّن لاحقًا بعد تنظيم القضاء في الجزائر المستقلة في محكمة «الوادي» بصفته كاتبًا لل ضبط، واستمر في هذه الوظيفة إلى غاية عام (1969م)، ليتحول خلالها إلى سلك الشؤون الدينية والأوقاف ويعيّن إمامًا أستاذًا بالمسجد الكبير بـ «الرقيبة» إلى بلوغ التقاعد عام (1980م). توفي سنة (1986م). ترك عددًا من المقالات والخطب والقصائد الشعرية. ينظر في ترجمته: «أصواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه» لعبد الباقي مفتاح، ص (309-310)؛ «أعلام من قمار بوادي سوف» للتجاني العقون، ص (62-63)؛ «المنظومة القضائية في البلاد السوفية» لمحمد ماني، ص (131-135)؛ «الشيخ أحمد عبد الباقي مفتاح (1920-1986م)، لمحات من السيرة والمسيرة العلمية والروحية، د. جمال الأشرف، ضمن كتاب: «أعلام التصوف في الجنوب الجزائري ودورهم في ترسيخ القيم العقدية والتربوية - منطقة وادي سوف أنموذجًا»، تأليف جماعي، ص (187-206)؛ «إسهامات بلدة أقمار في الحركة الوطنية والثورة التحريرية»، د. محمد ماني، (257/2-260).

وعلى هذا يكون الشيخ -رحمه الله- قد توفي عن مائة وثمانى عشرة سنة قمرية، وهذا أمرٌ مُستَبَعْدٌ عادةً، والله أعلم بالصحيح، وإن كان الأوّل أقرب للحقيقة، والمعتاد من أعمار الناس، خاصة وأن الروايات قد تضافرت عليه⁽¹⁾، ولم ينقل فيه خلاف حسب علمنا.

▣ أبنائه وأحفاده:

يتفق مؤرخو الشيخ على أنه أعقب بنين وبنات، تفرّقوا في البلاد -كما سبق أن ألمحنا إلى ذلك آنفاً-، ومن أبنائه المعروفين بالاسم ابنه الشيخ الطاهر. يذكر صاحب «الصروف» في أحداث سنة (1205هـ-1792م)⁽²⁾، أنه في أواخر السنة المذكورة مات الشيخ أحمد⁽³⁾ (من أمراء بني جلاب⁽⁴⁾) بـ«تقرت» وله وقائع مشهورة مع أهل «سوف» عامة وأهل «قمار» خاصة بـ«مكة المكرمة»، وجاء خبره -أي خبر موته- إلى «سوف» في (5) محرم (1205هـ)؛ فأظهروا -أي سكان «سوف»- التكدر لأجله -يعني الحزن لوفاته- حيث كان من ذوي حمايتهم، وفرحوا باطننا لما وقع منه معهم، لكن في أواخر ربيع الثاني من هذه السنة غرقت سفينة بـ«رادس»⁽⁵⁾ قرب «تونس» فيها من أهل «قمار» ستة وثلاثون حاجاً (قارن هذا العدد بمن يحجّ في أيامنا هذه، مع مراعاة الفوارق

(1) راجع: «إنحاف القارئ»، التليلى، ص (28-29).

(2) «الصروف في تاريخ الصحراء وسوف»، إبراهيم العوامر، ص (218).

(3) يعني: أحمد بن محمد بن جلاب.

(4) يعتبر بنو جلاب من بقايا بني مرين ملوك تلمسان، تفرّقوا في الأقطار بعد زوال دولتهم، ومنهم من استوطن منطقة «تقرت» طلباً للتجارة، وكان أولهم سليمان بن رجب الجلابي، الذي تسلم حكم واحات «تقرت» من قبل سلطان وادي ريغ سيدي محمد بن يحيى حوالي عام (1414م)، واستمر حكمهم إلى غاية سنة (1854م). ينظر: «أخبار وأيام وادي ريغ»، محمد الطاهر بن دومة، ص (103-105).

(5) مدينة ساحلية تونسية شهيرة تقع في الضواحي الجنوبية للعاصمة تونس تبعد عنها بحوالي (10) كلم.

المادية والمعنوية والعديدية والتقدم الحضاري) قضى فرضه ورجع؛ من جملتهم: سيدي الطاهر بن خليفة بن حسن صاحب المنظومة السابقة «اللامية»، ونظمه الجليل المسمى «جواهر الإكليل على مختصر خليل»، ومنهم - أي من الناجين الراجعين - : الحاج أحمد بن الهادي، والحاج سعد الشارف. ومن غيرهم - أي الغرقى من غير أهل «قمار» - نحو ثلاثمائة حاج -.... فحزن أهل «قمار» من أجل ذلك حزناً شديداً، وصار فرحهم - بمقدم الناجين من حجاجهم - ترحاً، ودوام الحال من المحال.. اهـ⁽¹⁾

ويقال: إنّ من أحفاد الشيخ خليفة بن حسن بـ«قمار» لهذا العهد: خليفة بن أحمد بن عبد الله بن خليفة بن حسن، ذكر لي أنه توفي بـ«قمار» لعهد قريب⁽²⁾، ولم يذكر لي الراوي سنة وفاته ولا عمره عند وفاته، ويقال: إنّ خليفة هذا - رحمه الله - أعقب ولداً اسمه أحمد.

وذكر لي المرحوم طيب الذكر الحاج الصادق قطايم⁽³⁾ أنه من أحفاد سيدي

(1) صرح الشيخ التليبي في «إنحاف القارئ» ص (29-30) أن الطاهر بن الشيخ خليفة لم ينح، وكان من ضمن الغرقى، وأكد أن وفاته كانت عام (1205هـ) في حياة والده.

ويظهر لي أن الشيخ زغودة لما وجد عبارة: "قضى فرضه ورجع"؛ فهم منها النجاة وتحقق الرجوع إلى البلد، وهذا الاستنتاج غير مذكور في «الصروف»؛ حيث اكتفى الشيخ العوامر بإيراد أنهم غرقوا في طريق العودة، وهذا يتفق مع ما أورده الشيخ التليبي. ولم يورد الشيخان ذكر الفرح بالنجاة في هذه الحادثة. والله أعلم.

(2) توفي سنة (1358هـ)، ينظر: «إنحاف القارئ»، التليبي، ص (29).

(3) هو الصادق بن بشير قطايم، ولد عام (1913م) بـ«قمار»، أحد أعيان المنطقة، كان من المستمعين والمجربين للحياة والمتنورين، أدى الخدمة العسكرية الإجبارية في الجيش الفرنسي خلال الحرب العالمية الثانية، وبعد تسريحه ارتبط بأحدرموز الحركة الإصلاحية ونشاطها في «سوف»، وهو الشيخ محمد الطاهر التليبي، وترشح ضمن قائمة حزب الشعب في الانتخابات البلدية لبلدية «الوادي» في (17) أكتوبر (1948م)، وكان يمتن الحداثة في دكان له في سوق البلدة، وكان محبا للعلم وطلبتها، ومكرماً لهم، ومشاركاً فيما يتعلق بتاريخ علماء البلدة كأخبار الشيخ خليفة بن حسن الذي تجمعه به صلة قرابة. هاجر أثناء الثورة إلى «فرنسا» وكان يشتغل مع اتحادية فرنسا لجهة التحرير الوطني، ورجع بعد الاستقلال لمحل الحداثة ثم فتح الله عليه أبواب الرزق فصار من الأغنياء، وبقي على =

خليفة بن حسن من جهة الأم، فأم جدّة الشيخ الصادق هي بنت الشيخ سيدي خليفة بن حسن، رحم الله الجميع.

هذا، ومما يذكر أنّ الحفيد الأنف الذكر (خليفة) قد تصرف فيما بقي من تراث جدّه العلميّ، وفوّت فيه بالبيع لبعض الورّاقين بـ«تونس» ولا يُستغرب ذلك، جنى الأبناء والأحفاد على تراث آبائهم وأجدادهم -جهلاً منهم بقيمته- بالإهمال أو التفويت لقاء دريهمات لا قيمة لها بالنسبة لقيمة وأهمية ما فوّتوا فيه، وبذلك يكونون قد جَنَوْا على مَجْدِ أُسْرِهِمْ من حيث يشعرون أو لا يشعرون، وَضَيَّعُوا وثائق هامة لها قيمتها في تاريخ بلدتهم العلمي والثقافي.

هذا، وحسب علمي فإنه كانت لدى المرحوم صديقنا الشيخ الصادق قطايم -رحمه الله- وصية بخط الشيخ تركها لأولاده، ولعلها ما زالت محفوظة عند أولاد الشيخ الصادق حفظهم الله.⁽¹⁾

=سيرته الأولى في الكرم والتواضع وخدمة العلم وأهله. توفي سنة (1983م). راجع مقال: "مرشحو حزب الشعب في بلدية الوادي سنة (1948م)"، د. أبو القاسم سعد الله، مجلة المصادر، العدد (17)، أبريل (2008م)، ص (201-211)؛ «إسهامات بلدة أقيار في الحركة الوطنية والثورة التحريرية»، ماني، (2/102-104).

(1) تحصّل على صورة من وثيقة الوصية المذكورة من عند فضيلة الشيخ عبد الباقي مفتاح -حفظه الله- وهذا نصّها: (الحمد لله، هذه وصيّة كاتبه بعد شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك وأن سيدنا محمد عبده ورسوله: على أن لفاطمة بنت أحمد خَمْسَ غَرَائِرَ تَمَرٍ من التمر الذي لي على أولادي، بل هي عطية لها، وصدقة منحتها إياها، ولمن احتاجت من بناتي ما دمن بالحياة في حال صحي، وقبلت ذلك مني، نزيد عليهم ثمانية أصع لرمضان يصرفونها أين شاءوا. وأوصيت لعمر بن السايح بثلاثين ريالاً صحاحاً، وكذا نصف الحوش الذي اشتريته أنا ومحمد ابننا؛ صيرته لفاطمة بنت أحمد في صداقتها لا شبهة لأحد فيه، وترتفق بالسكنى فيه من احتاجت من بناتي. وأوصي أولادي بالتواصل، وأداء حق الرّحم فيما بينهم، وبالإحسان لأخواتهم وأمتهم، وأؤكد بذلك على ابننا محمد الطاهر، ومن خالف وصيتي فلا مسامحة، ولا رضى عنه أبداً، والله حسيبه. وأوصي أولادي بالصدقة على بعد الموت، وكثرة الدّعاء بالمغفرة، وربّنا يتقبل، وأن يكون كفني من أحسن القطن، وطعام قربي بالوافر، وعلى كلّ واحد فدية لي عليه، ﴿رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾. وكتبه في حال صحّته أواخر شعبان سنة أربع ومائتين وألف الفقير لربه: خليفة بن حسن، عفا الله عنه. آمين). اهـ.

وعن أحفاد سيدي خليفة بن حسن، حدّثني المرحوم الشيخ الصادق قطايم في صيف سنة (1977م) بمحضر جماعة من الأفاضل منهم: الشيخ الأديب عمر شكيري⁽¹⁾ - حفظه الله - قال:

"في سنة (1934م) كنت بـ «القيروان» من «الجمهورية التونسية» الشقيقة؛ فتعلّقت همّتي بالبحث عمّن بقي من أحفاد الشيخ بـ «القيروان»، وكنت قد علمتُ أنّ أحد أحفاده ويدعى الساسي يوجد هو وأفراد أسرته بعاصمة الأغالبة، فسألْتُ عنه من توسّمتُ فيه المعرفة باسمه ونسبته إلى جدّه، فلم أجد مَنْ يعرفه، وأخيراً اهتديتُ إلى شيخ سُوفيّ الأصل مستوطنٌ بـ «القيروان»، صاحب كشك لبيع التبغ، قائلاً: اسأل عن بغيتك هذا الشيخ؛ فلعلّه أنّ يدلك على من تسأل عنه، أو نجد عنده له ذِكْراً؛ لأنه شيخ حَسَنٌ وعارفٌ ببيوتات

(1) ولد الشيخ عمر أبو بكر شكيري عام (1920م) في «فهار» بـ «وادي سوف»، حيث حفظ القرآن وتلقى مبادئ العلوم. التحق بجامعة الزيتونة عام (1936م)، وتخرج بشهادة التحصيل عام (1944م)، رجع إلى الوطن، والتحق بمدارس جمعية العلماء في «بسكرة»، و«قسنطينة»، و«شلغوم العيد»، و«برج بوعريّيج» و«الجزائر العاصمة». وفي أبريل من عام (1956م) أُلقي القبض عليه وسبق إلى معتقل «البرواقية» ثم «بطبوة» ثم «سيدي الشحمي» ثم «بوسوي» ثم «الشحمي» ثم «أركول». وفي جوان (1961م) أفرج عنه ليبقى تحت المراقبة اليومية طيلة ستة أشهر، وجاء عام (1962م) بالفرج على البلاد كلها، وخلال فترة اعتقاله كتب كثيرا من القصائد الشعرية. وفي بداية الاستقلال عُيّن أستاذاً بثانوية «بوفاريك»، ولما أنشئت وزارة الأوقاف أثر الالتحاق بها على التعليم العام. حيث كان بالوزارة كأستاذ منتدب موظف، ثم مديراً للمعهد الإسلامي بـ «حسين داي»، ثم نائب مدير بالوزارة، على اختلاف أسائها إلى نهاية عام (1988م). له مشاركات كثيرة في الحياة الأدبية بمقالاته وقصائده الشعرية. توفي الشيخ عمر شكيري في (09 جانفي (2012م). ينظر: «النشاط الصحفي للشيخ عمر شكيري من خلال جريدة البصائر (1935-1956م)»، د. عمر لمقدم، ضمن كتاب بحوث: الملتقى الدولي السابع: المقاومة الثقافية لأعلام الفكر الإصلاحي في الجنوب الشرقي الجزائري ما بين (1900-1962م)، المنظم يومي (04-05) جوان (2022م)، ط1؛ الجزائر: إصدارات مخبر إسهامات علماء الجزائر في العلوم الإسلامية، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الوادي، (1445هـ/2023م)، ص (246-247)؛ «أعلام من فهار بوادي سوف»، التجاني العقون، ص (213).

«القيروان»، إضافة إلى أنه سُوفِي الأصل ويقيم بـ «القيروان» منذ ما يزيد عن الأربعين سنة، فقصدتُ إليه بالمحلّ الذي ذكره، فوجدتُ الشيخَ بصفته التي وصفها لي، فسَلَّمْتُ عليه، وسألته عن السَّاسي حفيد سيدي خليفة بن حسن، فحدِّقَ فيَّ مليًّا، وقال: لعلَّكَ من أهل «قُمار»، قلت: بلى، وعرَّفته بنفسِي ونسبتي، فقال: لو ظَلَلَتِ الدَّهْرَ تسألُ عن صاحب هذا الاسم بهذه الصِّفَة ما اهتديتُ إليه، ولكنَّه هنا يُعرف باسم السَّاسي بن حمارطية (هكذا) وهو أمينُ سوق الصُّوف، ومنزله بـ «باب تونس»، وعرَّفني بعنوان المنزل وصفته كاملة؛ فقصدتُ إلى المكان بالصِّفَة المذكورة، وأسعدني الحظ بالاتصال بالحفيد السَّاسي، فبمجرّد أن رآني وتفرَّسَ في ملاحي قال: أَلستَ ابنَ فلانة؟، وسماها (إحدى حفيدات الشيخ خليفة بن حسن، أم أو جدة الشيخ الصادق)، أَلستَ من «قُمار»؟ قلت: بلى، فهشَّ في وجهي وبشَّ، ورَحَّبَ بي أَجملَ ما يكون الترحيب، وأكرمني غاية الإكرام، على أنَّني قريبٌ وحيبٌ، وسألني عن أشياء سألته عن مثلها.

ويضيف المرحوم قطايم أنَّ سنَّ السَّاسي المذكور كان يومئذ -أي عند مقابلته له في سنة (1934م) يبلغ حوالي أربعين سنة- وهذا يعني أنه من مواليد العَقد الأخير من القرن التاسع عشر، وعلى ذلك تكون نسبته إلى جدِّه الأعلى كالتالي: السَّاسي بن... بن... بن... بن... خليفة بن حسن. وذكر لي المرحوم قطايم أيضًا أنَّ للسَّاسي هذا ابنا اسمه أحمد، ولعلَّه ما زال على قيد الحياة إلى الآن.

وعن منزل السَّاسي المذكور يقول قطايم في وصفه: إنَّه من المنازل العتيقة العريقة الأنيقة الفخمة، المبنية على الطراز المعماري البلدي القديم؛ بما ينم عن

أصالة الأسرة التي تقطنه وعلو مركزها الاجتماعي؛ لأنّ مثله لا يتوفر إلّا للأسر البلديّة⁽¹⁾ الأصلية ذات المكانة الاجتماعية المرموقة.



أحداث عصره

هذه نبذة مختصرة من أحداث عصر سيدي خليفة بن حسن، وبعض الأحوال التي كانت سائدة بإقليم «سوف»، نوردها موجزة لتلبية لطلب السائلين، حيث طلبوا منا - إضافة إلى التعريف بالمرجّم له - إلمامة عن أحداث عصره بالمنطقة.

كما هو بديهي فقد كانت الجزائر لعهد سيدي خليفة بن حسن تعيش في ظل الحكم التركي المترهل، بيد أن المناطق الصحراوية؛ أي: ما وراء التلول؛ كانت بمعزل عن النفوذ التركي المباشر، تعيش حياة فوضوية شبه مستقلة، وكانت منطقة «سوف» هي الأخرى في الوضع نفسه، وإن كانت صورياً تابعة لشيخ العرب ممثل السلطة التركية بـ «بسكرة» وما وراءها من بلاد الرمال، وبلاد «الزّاب» وما وراءها من الصحاري، وكان شيخ العرب هذا في نزاع مستمر مع أمراء أسرة بني جلاب المتغلبين على «تقّرت» ومنطقة «وادي ريغ»⁽²⁾ منذ أن أسسوا إمارتهم في القرن السادس عشر الميلادي، وكان الجلالبة قد امتدّ نفوذهم إلى منطقة «سوف»، فكانت «سوف» لذلك نهبا بين بني جلاب وشيوخ العرب

(1) تعبير شائع في تونس يطلقونه عن أهل المدينة الأصليين، بخلاف الوافدين من القرى.

(2) «وادي ريغ»: إقليم منخفض مستطيل الشكل، يبلغ طوله (160 كلم) وعرضه بين (30-40 كلم)، يبدأ شمالاً من منطقة «عين الصفراء» قرب بلدية «أم الطيور»، وينتهي جنوباً بمنطقة «قوق» القريبة من «بلدة عمر» جنوب «تقّرت». ويضم هذا الإقليم أكثر من (35) مدينة وقرية تشكل في مجموعها واحات «وادي ريغ»، والعاصمة التاريخية للمنطقة هي «تقّرت». ينظر: «وادي ريغ تاريخ وأجداد»، عبد الحميد قادري، (17/1)؛ «بحوث ودراسات في تاريخ وادي ريغ»، د. رضوان بن الرتمي شافو، ص (34-35).

بـ «الزاب»، وكان همّ هؤلاء وأولئك ينحصر في جباية الضرائب والمغارم التي يفرضونها على أهل البلاد.

أما السلطة الحقيقية؛ فقد كان يتولاها في كل قرية أو بلدة شيوخ الجماعة، الذين يقع عليهم الاختيار من طرف الأهالي، أو تفرضهم قوّة عصبيتهم عليهم، وكانت كل قرية من قرى سوف تعيش مستقلة عن غيرها من القرى، إلا ما يكون بين بعض القرى من تحالف دفاعي، وكانت حملات بني جلاب تتوالى على المنطقة من حين إلى آخر لإخضاعها، وقمع التحركات التمردية المناوئة لهم.

أما بنو جلاب⁽¹⁾ المتغلبون على المنطقة فهم ينتمون إلى قبيلة زناتة البربرية، ونَسَبُهُمْ -على ما يقول المؤرخون- في بني مرين، ولقبوا بالجلالة أو بني جلاب لأنّ أجدادهم الأعلى كانوا تجارًا ومربيّ أغنام، وهو ما يُطلق عليه في إقليمنا اسم (الجلَب) فلصق بهم هذا اللقب وعُرفوا به.

وفي حياة سيدي خليفة بن حسن؛ أي: في سنة (1180هـ - 1766م)، وفي عهد الأمير الجلابي الشيخ أحمد بن الشيخ محمد بن جلاب⁽²⁾ الذي ضاق ذرعًا بعصيان أهل «سوف» وخروجهم عن طاعة ونفوذ الجلالة برفضهم دفع الإتاوة السنوية المفروضة عليهم، جرّد حملة عسكرية تأديبية لإخضاعهم قادها

(1) استمر حكم إمارة بني الجلاب ما يقارب (450) سنة؛ ابتداء من (1450م) إلى غاية دخول الاحتلال الفرنسي سنة (1854م)، وبالنسبة لحدودها فكانت تلك الفترة تضيق تارة وتوسع أخرى؛ فقد وصل نفوذها إبان قوتها إلى «نقطة» شرقا، و«أولاد جلال» شمالا، و«انفوسة» جنوبا، و«القرارة» و«مسعد» غربا. أما عندما يضيق فلا يتجاوز مدينة «تفرت». ينظر: «وادي ريغ تاريخ وأجداد»، عبد الحميد قادري، (60/1).

(2) خرج أحمد بن جلاب ثائرا ضدّ ابن عمه عمر بن جلاب، واتصل بصالح باي في «قسنطينة» وحرّضه فنظم هذا الأخير حملة على «تفرت» سنة (1783م) لانتزاع المشيخة من عمر بن جلاب وتنصيب أحمد مكانه، ورغم التفاف الناس حول سلطانهم الشرعي (عمر) إلا أن قوة الحملة واستعمال المدفعية سهّل اقتحام المدينة وتنصيب أحمد ابن جلاب. ينظر: «وادي ريغ تاريخ وأجداد»، عبد الحميد قادري، (64/1).

بنفسه؛ فتصدّى له أهل «الوادي» من عرب طرود⁽¹⁾، ووقعت بين الفريقين معركة حامية الوطيس بـ «وادي زيتن»⁽²⁾ قتل فيها عدد كبير من الطرفين، بيد أنها انجلت عن هزيمة قوات الشيخ أحمد الجلابي؛ ففرّ من ميدان المعركة هارباً تحت ظلام الليل طالباً النجاة لنفسه ولمن بقي من فلول جنده، ولما اطمأنّ إلى عدم تعقّب أهل الوادي له اتجه نحو «قمار» لتأديب أهلها وإخضاعهم، وكان ذلك - حسب الرواية - في شهر ربيع الثاني من العام المذكور، فنزل الأمير الجلابي المنهزم بفلول جيشه بالمكان المعروف بـ «الزرايب»⁽³⁾ فعاثوا فيه فساداً بقطع النخيل وحرقه، وإتلاف المزروعات ونهب الممتلكات، وبات أهل «قمار» ليلة ليلاء يستعدون لمقاومة الغزو الجلابي المدمر، وأرسلوا الرسل إلى أحلافهم من أهل «الوادي» وغيرهم.⁽⁴⁾

وفي صباح تلك الليلة وصلت قوات ابن جلاب إلى «قمار»، ونشبت المعركة بين الفريقين، وكانت الدائرة على أهل «قمار» فلاحق بهم الجلالبة يقتلون وينهبون

(1) طرود: هم أكثر سكان مدينة «الوادي» وضواحيها، وتنتمي قبائل طرود إلى طرود بن فهم بن عمرو بن قيس، من مضر بن نزار العدنانيين، ويمثلون في الوادي قبيلتين كبيرتين هما: الأعشاش، والمصاعبة، وكلاهما من بني سليم. ينظر: «الصروف في تاريخ الصحراء وسوف»، ص (270).

(2) واد زيتن: منطقة جنوب «وادي سوف» تبعد عن وسط المدينة بحوالي (2) كلم في الطريق المؤدي إلى وادي العلندة، كانت إلى وقت قريب موضع غيطان نخيل كثيرة. ويروى أنها كانت في القديم وجهة الفرع الجنوبي لوادي الجردانية الذي غار في الرمال. ينظر: «الصروف في تاريخ الصحراء وسوف»، ص (91-92).

(3) هكذا في «م»، و«الزرايب» جمع زريبة، وهي أكواخ من جريد النخيل (الخص)، والظاهر أن الصحيح هو «الزرايب» التي تطلق على الممرات الضيقة؛ يقال: زرده؛ أي: خنقه وضيق عليه، وزرّد الشيء: ضيقه. ينظر: «المعجم الوسيط»، مادة (ز.ر.د.)، (416/1). ويقع حي «الزرايب» المذكور في الجهة الشمالية لـ «قمار»؛ يحده من الجنوب «جر الدبدابة»، ومن الغرب «صحن المطار»، ومن الشرق «الحساي» و«المقاصب»، ومن الشمال «الهود». ينظر: «أضواء على مدينة قمار»، ص (24).

(4) ينظر: «الصروف في تاريخ الصحراء وسوف»، إبراهيم العوامر، ص (212-213).

ويتبرّون ما علّوا تبيراً، حتّى كادوا يلجّون عليهم بيوتهم.

وتقول الروايات: إن أهل «الوادي» وقرى أخرى - وفاءً منهم لما بينهم وبين أهل «قمار» من حلف - حشدوا قوات كبيرة، وتعاهدوا على الموت، وزحفوا نحو «قمار» لنصرة أهلها ومساعدتهم على صدّ هجوم الجلالبة، وما كاد خبر تحرّك هذه القوات نحو «قمار» يبلغ إلى علم الأمير الجلابي حتّى أمر جُنْدَهُ بالرحيل عن «قمار»، ورحل فوراً مُجِدّاً السير نحو مقرّ إمارته بـ «تقّرت»، وقنع أهل «قمار» بالسّلامة فلم يتبعوا أثره، وخلّوا بينه وبين الصحراء، وطيّروا بخبر رحيله إلى أحلافهم الزاحفين من «الوادي» فرجعوا، وكفى الله المؤمنين شرّ الفتنة والقتال.⁽¹⁾

ويستنتج من هذه الواقعة ما يأتي:

- 1- أنّ كلا من أهل «قمار» و«الوادي» كانوا معارضين لنفوذ الجلالبة.
- 2- أنّ حلفاً دفاعياً كان قائماً وساري المفعول بين أهل «قمار» و«الوادي».
- 3- أنّ كلا طرفي التحالف كان ملتزماً به.
- 4- أنّ إمارة بني جلاب بـ «تقّرت» كانت من الضّعف والهزال بحيث لا تقوى على فرض سلطتها ونفوذها إلّا على المناطق ذات العصبية الضعيفة.
- 5- أنّ حملة⁽²⁾ ابن جلاب كانت من الضعف [بأنّ]⁽³⁾ لاذت بأذيال الفرار لمجرّد علمها بزحف أهل «الوادي» لنصرة أحلافهم القماريين.

(1) ينظر: «الصرّوف في تاريخ الصحراء وسوف»، إبراهيم العوامر، ص(213).

(2) في «م»: محلة، والصواب ما أثبتّه.

(3) غير موجودة في «م» اقتضاها سياق الكلام.

ويقول ابن عامر في «صروفه»⁽¹⁾: إنّه في هذا العام كان خراب (عامرة قمار)، ولم يوضح ذلك، ولا المقصود من قوله: (عامرة قمار).

ومن غريب ما اتفق بعد هذه الأحداث أنّ الأمير الجلابي الشيخ أحمد المذكور بعد أنّ عزله ونحاه عن الإمارة قريبه الشيخ فرحات⁽²⁾ أرسل إلى أهل «قمار» يطلب منهم إيواؤه وحمايته ومساعدته على بلوغ مأمنه بـ «الجريد» التونسي، معلناً ندمه على ما فرط منه في جانبهم أيام ولايته؛ فقبل أهل «قمار» طلبه ملتزمين بإيوائه وحمايته، ولما استوثق من ذلك قدم إلى «قمار» عام (1199هـ-1785م)، ونزل بِحَرَمِهِ وَحَشَمِهِ بالجانب الغربي من البلد، وهو مع ذلك على حَدَرٍ من أهل «قمار» لسوء ظنّه بهم؛ لما سلف منه في جانبهم، ثم انتقل إلى الجانب الشرقي من البلد، ثم إلى «الزراذيب» وهو في حالة قلق وخوف واضطراب.⁽³⁾

وأثناء ذلك كانت رُسُلُهُ تترى إلى «نفطة»⁽⁴⁾ تمهيداً لانتقاله إلى بلاد «الجريد»، ومع ذلك فقد بقي القماريون بما التزموا به له من الإيواء والحماية، وكان طيلة مقامه بـ «قمار» محلّ إكرام واحترام، على خلاف ما كانت تحدّثه به نفسه من خوف الغدر والفتك به.⁽⁵⁾ ويقال: إنّه أقام بـ «قمار» على هذه الحال نحو عامين، إلى أن تهيأت له أسباب الرّحيل إلى بلاد «الجريد» بِحَرَمِهِ وَحَشَمِهِ عام (1201هـ-).

(1) ينظر: «الصروف في تاريخ الصحراء وسوف»، إبراهيم العوامر، ص (213).

(2) تولى الشيخ فرحات بن جلاب إمارة «تفرت» ونواحيها حوالي (1784م)، وكان مستقلاً عن الحكم التركي رافضاً دخوله تحت نفوذهم. ينظر: «الصروف في تاريخ الصحراء وسوف»، إبراهيم العوامر، ص (215).

(3) المرجع نفسه، ص (214).

(4) هي مدينة تاريخية عريقة تقع في أقصى الجنوب الغربي التونسي (ولاية توزر)، وتعتبر واحدة من أقدم وأجل الواحات الصحراوية في منطقة الجريد التونسي، وتتميز ببعدها الثقافي والروحي العميق، تربطها بوادي سوف الجزائرية (124 كلم) صلات اجتماعية وثقافية وتجارية ممتدة عبر التاريخ.

(5) ينظر: «الصروف في تاريخ الصحراء وسوف»، إبراهيم العوامر، ص (214).

1787م).

وأما خَلْفُهُ في إمارة الجلالة الشيخ فرحات؛ فقد كانت له هو الآخر وقائع وأيامٌ مع أهل «سوف»، منها:

□ هجومُهُ في سنة (1202هـ) على «تاغزوت»⁽¹⁾، وقطع بعض نخيلها، وإتلاف مزروعاتها، ونهب ممتلكاتها، وترويع الأمنين من أهلها.

□ هجومُهُ على «الدبيلة»⁽²⁾؛ حيث عاث فيها عَسَاكِرُهُ أبشعَ ألوان الفساد؛ فقتلوا، ونهبوا، ودمروا.

□ إرساله حملة بقيادة قريبه الشيخ إبراهيم بن جلاب إلى «قمار» لاستخلاص الضريبة السنوية أو القتال، فرضخوا لإرادته؛ ففرض عليهم ثلاثة ريات على كل مائة ريال يملكونها؛ فجمعوا له ذلك وانصرف عنهم.

□ وفي سنة (1203هـ) قدم إلى منطقة «سوف» الشيخ فرحات بن جلاب في جيش عظيم بقيادة محمد بن الحاج بن قانة؛ فنزل على «قمار» وحاصرها بقواته، وأجبر أهلها على أن يدفعوا له إتاوة قدرها ألفان وخمسمائة ريال، مع ما يكفي عسكره من قمح وزيت وسمن، وما يكفي دوابهم من شعير وحلفاء، وما يلزم [أخيبتهم و]⁽³⁾ خيامهم من خشب، وأقام فيهم على هذه الحال خمسة عشر يوماً ثم ارتحل راجعاً لمقر إمارته بـ«تفرت»⁽⁴⁾.

(1) «تغزوت»: بلدة مجاورة لقمار من جهة الجنوب، هي حالياً بلدية كبيرة.

(2) «الدبيلة»: إحدى الحواضر العريقة في شرق مدينة وادي سوف، حيث تبعد عنها بحوالي (20) كلم. تجمع بين النشاط الفلاحي الكثيف والحياة الحضرية الهادئة. وهي دائرة تضم عددا من البلديات، ومنها بلدية الدبيلة.

(3) هكذا في «م» وفوقها شطب قليل.

(4) ينظر: «الصروف في تاريخ الصحراء وسوف»، إبراهيم العوامر، ص (217)؛ «فذلكة تاريخية»، محمد الطاهر التليلي، ضمن كتاب: «حاطب أوراق»، أبو القاسم سعد الله، ص (187-188).

□ وفي سنة (1204هـ) أعاد الشيخ فرحات بن جلاب الكرّة على أهل «قمار» لاستخلاص الإتاوة منهم، وكان في هذه المرة في قلّة من جنده، ولما علم أهل «الوادي» بنزوله على «قمار» أرسلوا وفدًا من أعيانهم لمفاوضته والتوسط بينه وبين أهل «قمار»، فأساء استقبال الوفد، وقابلهم بما يكرهون، فخرجوا من حضرته ساخطين، وحرّضوا أهل «قمار» على العصيان ورفض دفع الإتاوة، وكان قبل ذلك قد حصل منهم على أربعة آلاف ريال، فأوجس شرًّا من أهل «الوادي»، فاكتفى بما حصل عليه من مال، وارتحل عن «قمار» عائداً إلى مقرّ إمارته، وكان يوم رحيله يوم فرح مشهود، احتفل له أهل البلد غاية الاحتفال.⁽¹⁾

هذا، وتذكر بعض المصادر التاريخية أنّه في حوالي سنة (1202هـ - 1788م) أرسل صالح باي⁽²⁾ والي «قسنطينة» حملة تأديبية لإخضاع الأمير الجلابي الشيخ فرحات للسلطة التركية، ولكن تلك الحملة فشلت في مهمتها، وانهمت أمام قوات الشيخ فرحات بعد عدة اشتباكات وقعت بين الطرفين، إلا أنّ هذه الهزيمة لم تثن من عزم صالح باي على إخضاع الجلالبة، فقدم بنفسه إلى «سوف» سنة (1791م) للقبض على الشيخ فرحات، وإبعاده عن إمارته، أو إشعال ثورات ضده بمنطقة «سوف»، مما اضطر الشيخ فرحات إلى الحضور إلى سوف بقواته لإخضاعها لسلطته، وفعل أثناء ذلك بأهل «سوف» أشنع الأفاعيل، ونكّل بهم أبشع التنكيل، وقيل: إنه مات أثناء هذه الوقائع، وقيل: في غيرها،

(1) ينظر: «الصرّوف في تاريخ الصحراء وسوف»، إبراهيم العوامر، ص (217).

(2) صالح باي، أحد بايات بايلك الشرق. ولد ب إزمير تركيا سنة (1725م) عينه باشا الجزائر العاصمة بايا على بايلك الشرق (1771 - 1792م). شهدت فترت حكمه عدة إنجازات وعرفت منطقة بايلك الشرق ازدهارا اقتصاديا واجتماعيا مما أدى إلى ازدياد نفوذه وولاء الشعب له أدى كل هذا إلى غيرة باشا الجزائر العاصمة وخوفا على منصبه خطط لقتله وتم له ذلك سنة (1792م)، أدت هذه الحادثة إلى موجة حزن عبر كافة بايلك الشرق وكتعبير عن ألم الأمة ارتدت النسوة وشاحا أسودا يسمى بالملاية ما زالت تستعمل حتى اليوم.

ولكن الغلبة كانت باهرة لقوات صالح باي؛ إذ تمّ الاعتراف بسلطته ونفوذه على «تثرت» وما حولها من طرف الجلابيين، وبعد أن تمّ له ذلك أمر على الإمارة الشيخ محمد بن الشيخ أحمد بن جلاب عوضاً عن الشيخ فرحات المنهزم والذي طارده وفلول جيشه قوات صالح باي، وأسرت عدداً كبيراً من أتباعه وقواده بـ«زريبة الوادي».⁽¹⁾

وهذا مجمل الأحداث التي عاصرها الشيخ سيدي خليفة بن حسن، وقد يكون شهد بعضها، إلا أنّ المصادر التاريخية لم تذكر له مشاركة فيها، ولا موقفاً معيّناً منها؛ مما يدلّ على أنه كان متفرّغاً لشؤونه الخاصة بمنأى عن هذه الفتن التي نهارها كليلها، مقبلاً على عبادة ربه، منشغلاً بما كرّس له حياته من تعليم وتأليف، وذلك شأن أغلب العلماء والصالحين أيام الفتن.



جواهر الإكليل على مختصر خليل

قبل الحديث مفصلاً عن منظومة «جواهر الإكليل على مختصر خليل» يجدر بنا أن نعرّف بإيجاز بهذا المختصر الجليل وصاحبه.

أما المختصر؛ فهو عبارة عن موسوعة في الفقه المالكي، موجزة العبارة دقيقة الإشارة، جمع فيها صاحبها الفروع الكثيرة في العبارات القليلة حتى كادت⁽²⁾ عباراته تكون شبيهة بالألغاز، لا يصل إلى فهمها وحلّها إلا كبار الفقهاء وأعيان

(1) ينظر: «الصروف في تاريخ الصحراء وسوف»، إبراهيم العوامر، ص(218)؛ «فذلّة تاريخية»، محمد الطاهر التليلي، ضمن كتاب: «حاطب أوراق»، أبو القاسم سعد الله، ص(188).

و«زريبة الوادي»: بلدية بولاية «بسكرة»، تقع بالقرب من وادي العرب على بعد (90) كلم إلى الجنوب الشرقي من مدينة بسكرة. ينظر: «معلمة الجزائر»، شرفي، ص(771).

(2) في «م»: كانت.

العلماء، وقد هدف العلامة خليل من وراء هذا الاختصار إلى أن يكون مختصره ميسراً للحفظ عن ظهر قلب، فهو عبارة عن متن يُحفظ ثم يُشرح للطلاب.⁽¹⁾

وليس خليل - رحمه الله - بدع في هذه الطريقة؛ إذ كانت هي الطريقة المألوفة في عصره، والتي سلكها من قبله ومن جاء بعده في مختلف فروع الثقافة الإسلامية؛ إذ كانت الدراسة تعتمد أساساً على حفظ متون العلوم على أنها هي الرصيد العلمي، الحافظة للأصول الرئيسية تصرّحاً أو تلويحاً أو إشارة، ثم يأتي بعد ذلك الدرس الذي يتكفل بالشرح والبيان والتفصيل.

ومن ثمّ نشأ في تاريخ الأدب العربي لَوْنٌ جديدٌ من ألوان الشعر عُرف بالشعر التعليمي، وذلك منذ بدايات القرن الثالث هجري، بدأ ينظم أبانُ اللاحيقي⁽²⁾

(1) وفي هذا يقول محمد بن الحسن الحجوي (توفي 1376هـ) في كتابه «الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي»، (459/2): «إنهم لما أغرّقوا في الاختصار، صار لفظ المتن مغلقاً لا يفهم إلا بواسطة الشراح، أو الشروح والخواشي، ففات المقصود الذي لأجله وقع الاختصار، وهو جمع الأسفار في سفر واحد، وتقريب المسافة، وتخفيف المشاق، وتكثير العلم، وتقليل الزمن».

ومع هذا، فالمختصر الخليلي بلغ شأواً بعيداً في الدقة والإحكام وجودة الصنعة الفقهية. قال الشيخ أبو عبد الله ابن غازي (توفي 919هـ) في «شفاء الغليل» (112/1): «إن مختصر الشيخ العلامة خليل بن إسحاق من أفضل نفائس الأعلام، وأحق ما رمق بالأحداق، وصُرفت له همم الحذاق، إذ هو عظيم الجدوى، بليغ الفحوى، مبين لما به الفتوى، أو ما هو المرجح والأقوى، قد جمع الاختصار في شدة الضبط والتهذيب، وأظهر الاقتدار في حسن المساق والترتيب، فما نسج أحد على منواله، ولا سمحت قريحة بمثاله...». وقال الشيخ أبو عبد الله الخطاب (توفي 954هـ) في «مواهب الجليل» (5/1): «مختصر الشيخ العلامة ولي الله خليل بن إسحاق الذي أوضح به المسالك، إذ هو كتاب صغر حجمه، وكثر علمه، وجمع فأوعى، وفاق أضرابه جنساً ونوعاً، واختص بتبيين ما به الفتوى، وما هو الأرجح والأقوى، لم تسمح قريحة بمثله، ولم ينسج على منواله إلا أنه لفرطه في الإيجاز كان يعد من جملة الألفاظ».

(2) هو أبان بن عبد الحميد بن لاحق بن عفير الرقاشي، شاعرٌ وأديبٌ بصريٌّ من رواد الشعر القصصي في العصر العباسي. عُرف بترجمته للأدب الفارسي إلى العربية شعراً، مثل: «كليلة ودمنة» و«السندباد». امتاز شعره بسهولة اللفظ وحسن السبك وكثرة الحكم والأمثال، وكان من شعراء البلاط العباسي المقرّبين من البرامكة. توفي حوالي (200هـ). ينظر: «الأعلام»، الزركلي، (27/1).

المتوفى سنة (200هـ) كتاب «كليلة ودمنة» لعبد الله بن المقفع⁽¹⁾، تلاه في هذا السياق أبو العتاهية⁽²⁾، فنظم الكثير من شعر الزهد والحكمة، ثم أخذ هذا اللون من الشعر والنظم ينتشر ويتسع ميدانه، ويتبارى فيه العلماء والأدباء والفقهاء، وعلماء الحديث والأصول والعربية والبلاغة والقراءات والأحكام، وحتى الفلك والرياضيات؛ فَوُضِعَتْ متونٌ في كلِّ فنٍّ تختلف طولاً وقصراً، فقد يطول بعضها حتى يصل عشرات الآلاف من الأبيات، ويَقْصُرُ بعضها عن ذلك حسب الموضوع، والمقصود من ناظم المتن، والمستوى الذي ينظم له، ومن هذه الألفيات⁽³⁾، فقد تعددت في جميع فروع العلوم والمعارف، وخاصة في الفقه والنحو.

(1) ابن المقفع: كاتبٌ وأديبٌ فارسيّ الأصل، ولد سنة (106هـ)، يُعدّ من رُوّادِ الشرّ العربيّ في العصر العبّاسي. اشتهر بترجمته لكتاب «كليلة ودمنة» عن الفارسية، وبأسلوبه البليغ الذي جمع بين الحكمة والبيان. كان من أوائل من وضعوا أسس النثر الفني في العربية، وله مؤلفات في الأدب والسياسة والأخلاق مثل: «الأدب الكبير»، «الأدب الصغير». توفي سنة (142هـ). ينظر: «الأعلام»، الزركلي، (140/4).

(2) هو إسماعيل بن القاسم العبّيني، ولد سنة (130هـ)، شاعرٌ عبّاسيٌّ مشهور، عُرف ببساطة أسلوبه وابتعاده عن التكلّف في الشعر. تناول في شعره الزهد والموعظة والحكمة إلى جانب الغزل والمدح. يُعدّ من أبرز من جدّدوا في موضوعات الشعر العبّاسي وأسلوبه، وجعلوه أقرب إلى لغة الناس ومعاني الحياة اليومية. توفي سنة (211هـ). ينظر: «الأعلام»، الزركلي، (321/1).

(3) الألفيات: هي واحدة من أروع الابتكارات التعليمية عند المسلمين، حيث قام العلماء بتحويل العلوم المعقّدة والمتشعبة إلى منظومات في حدود ألف بيت، لتسهيل استظهار العلوم وتداولها بين الطلاب. ومن أمثلتها: الألفية في الطب لابن سينا (توفي 427هـ)؛ ألفية ابن معطي (توفي 628هـ) في النحو؛ ألفية المعاني والبيان للقبّاقبي (توفي 650هـ)؛ ألفية ابن مالك (توفي 672هـ) في النحو؛ ألفية في التعبير (الرؤيا) لابن الوردي (توفي 749هـ)؛ الألفية في الأغاز الخفية للأريابي (توفي 679هـ)؛ الألفية في علوم الحديث للعراقي (توفي 806هـ)، وله أيضاً ألفية في السيرة النبوية، وألفية في غريب ألفاظ القرآن؛ ألفية العلوم العشرة لابن الشحنة (توفي 815هـ)؛ ألفية أصول الفقه للبرماوي (توفي 831هـ)؛ الألفية في علوم الحديث للسيوطي (توفي 911هـ)، وله أيضاً ألفية في أصول الفقه «الكوكب الساطع»؛ والألفية في القواعد الفقهية للزقاق (توفي 912هـ) المعروفة بـ «المنهج المنتخب».

وقد وضع بعض العلماء مُتُونَهُمْ نَثْرًا كما هو الحال في «مختصر خليل»، و«رسالة ابن أبي زيد القيرواني»⁽¹⁾ وغيرهما، إلا أن الغالب والأعم في المتون أن تكون نظماً؛ مما حدا ببعض العلماء إلى نظم المنشور منها كما فعل مترجمنا في المختصر الخليلي.

وقد نال هذا المختصر عناية عظيمة من طرف الفقهاء ورجال القضاء؛ فوضعت عليه الشروح الطويلة والخواشي المستفيضة، وظل شغل الفقهاء الشاغل يدورون في فلكه أربعة قرون أو يزيد، واتجهت طائفة أخرى من الفقهاء فتباروا في نظمه شعراً، تيسيراً لحفظه وتمهيداً لدراسته.

وليس سيدي خليفة بن حسن - رحمه الله - بأول من نظم المختصر الخليلي بل سبقه إلى ذلك علماء أجلاء، منهم معجزة عصره وفلته دهره العلامة أحمد بن قاسم بن محمد ساسي البوني المتوفى سنة (1139هـ)⁽²⁾، فقد نظمه في أكثر من عشرة آلاف بيت.⁽³⁾

(1) هو عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي زيد، أبو محمد، النفراوي، القيرواني، المالكي، الفقيه، المفسر شيخ المالكية بالمغرب، كان إماماً بارعاً في العلوم، واسع الثقافة والاطلاع. ولد عام (310هـ). قال القاضي عياض: حاز رياسة الدنيا والدين، وكان يسمى مالكا الصغير، انتفع به خلق كثير في العلم والأخلاق. توفي سنة (386هـ). من تصانيفه: «الرسالة»، و«النوادر والزيادات»، و«مختصر المدونة». ينظر: «الديباج المذهب» (371/1).

(2) هو أحمد بن قاسم بن محمد ساسي التميمي، أبو العباس البوني، عالم جزائري من بونة (عناة)، اختص بالحديث والفقه المالكي. ولد عام (1063هـ)، رحل في طلب العلم إلى المشرق، وأخذ عن كبار العلماء، ثم عاد إلى البلد واشتغل بالتدريس. ألّف نحو مئة كتاب في الفقه، الحديث، التصوف، والأدب، من أشهرها: «الدرة المصونة في علماء بونة»، و«فتح الباري في شرح غريب البخاري»، و«نظم الخصائص النبوية»، وغير ذلك. توفي سنة (1139هـ). ترجمته: «تعريف الخلف»، الحفناوي، (515/2)؛ «شجرة النور الزكية»، مخلوف، ص (330)؛ «معجم أعلام الجزائر»، عادل نويهض ص (50).

(3) قال البوني: «وقد منّ الله عليّ بأن نظمْتُ جميع متن المختصر المذكور في أزيد من عشرة آلاف بيت من الرجز في أقل من شهرين، بل زدْتُ عليه زوائد كالحاشية والطرر نحو ألفي بيت...». ينظر: «ثبت البوني»، ص (99-100).

أما صاحب «المختصر» فهو العلامة أبو الضياء خليل بن إسحاق رحمه الله ورضي عنه، كان - رحمه الله - من رؤوس ورؤساء المدرسة المالكية في عصره ومن أشهر فقهاءها، وقد خلّده في تاريخ الفقه الإسلامي مختصره الذي عُني بشرحه والتعليق عليه وفك ألغازه وتجلية غوامضه نخبة من كبار العلماء والفقهاء⁽¹⁾، وكان المرجع الأساسي - وخاصة ببلدان المغرب العربي - للقضاة والمفتين وكبار الفقهاء، وكانت عبارة خليل هي القول الفصل الذي لا يحتاج معه إلى دليل.

والعلامة خليل - رحمه الله - من جَلّة فقهاء المالكية بمصر، وكان رئيس مدرسة فقهية، تخرّج عليه الكثير من كبار الفقهاء والأئمة، اشتهر بسعة العلم وغزارة الاطلاع والحفظ مع الورع والتقوى، توفي بـ«القاهرة» سنة (775هـ - 1374م)، التحق بالمجاهدين، وأسهم في معركة انتزاع «الإسكندرية» من أيدي الإفرنج سنة (767هـ - 1366م).⁽²⁾

ومن أشهر شراح المختصر الخليلي: العلامة محمد بن عبد الله الخرشي⁽³⁾ نسبة إلى مسقط رأسه «أبي خراش» من قرى محافظة «البحيرة» (مصر)، ولد سنة

(1) من العلماء الذين شرحوا مختصر خليل: بهرام بن عبد الله الدميري (توفي 805هـ)؛ ومحمد بن أحمد بن مرزوق الحفيد (توفي 845هـ)؛ ومحمد بن إبراهيم بن خليل التتائي (توفي 942هـ)؛ ومحمد بن يوسف المواق (توفي 897هـ)؛ ومحمد بن أحمد بن غازي (توفي 919هـ)؛ ومحمد بن محمد بن عبد الرحمن الخطاب (توفي 954هـ)؛ وسالم بن محمد السنهوري (توفي 1015هـ)؛ وعبد الباقي بن يوسف الزرقاني (توفي 1099هـ)؛ ومحمد بن عبد الله الخرشي (توفي 1101هـ)؛ وأحمد بن محمد الدردير (توفي 1201هـ)؛ ومحمد بن محمد الأمير (توفي 1232هـ)؛ ومحمد بن أحمد بن محمد عlish (توفي 1299هـ)؛ لصالح بن عبد السميع الآبي (توفي 1335هـ).

(2) ينظر في هذا: «نيل الابتهاج بتطريز الديباج» للتنبكتي، ص (170).

(3) هو محمد بن عبد الله بن علي الخرشي المالكي، ولد ببلدة أبو خراش بمديرية البحيرة بمصر عام (1010هـ)، من كبار الفقهاء وشيخ المالكية تولى مشيخة الأزهر، وتوفي سنة (1101هـ). له شرح على مختصر خليل الفقهية. ينظر: «شجرة النور الزكية»، ص (317)؛ و«النور الأبهري»، ص (108).

(905هـ-1602م)، تلقى علومه بالأزهر الشريف، وبرع في مختلف العلوم الإسلامية وخاصة الفقه وأصوله، ودرّس بالأزهر زمناً طويلاً، وتخرّج عليه نخبة من العلماء الأجلاء، وكان في زمانه علماً من أعلام المدرسة المالكية ومرجعاً في الفقه عامة والمالكي منه خاصة، تولى مشيخة الأزهر، ووضع عدّة تآليف معتبرة، منها شرحه لمختصر العلامة خليل، وتوفي بـ «القاهرة» سنة (996هـ-1689م).

وتأسيساً على ما ذكرنا؛ فقد ظلّ المختصر الخليلي شغل الفقهاء الشاغل لعدّة قرون⁽¹⁾، وعبارة خليل تكاد تكون مقدّسة؛ لذلك عُنِيَ مترجمنا -رحمه الله- بهذا المختصر عناية بالغة، فاستوعب المختصر الخليلي من جميع جوانبه، وقتله حفظاً وفهماً ودراية، على الرغم من صعوبته وغموض عبارته، وكان شغله الشاغل طيلة حياته، بعد أن تلقى شرحه وكشف غوامضه على أعيان علماء عصره، ثم تولى تدريسه بـ «خنقة سيدي ناجي» وغيرها حتى أصبح -رحمه الله- مرجعاً من مراجع الفقه المالكي، وعلماً من أعلام مدرسته، ثم رأى بعد طول ممارسة مع المختصر الخليلي أنه يصعب على الشادين⁽²⁾ في الفقه حفظه في صيغته النثرية عن ظهر قلب؛ فرأى أن يخدم الفقه الإسلامي بأن ينقل المتن من النثر إلى النظم ليسهل حفظه، وبذل في ذلك جهداً كبيراً ووقتاً من عمره طويلاً، إذ قيل إنه استغرق في نظمه عشر سنين، والشيخ -رحمه الله- متمكّن من العربية، متصرّف في النظم، منقاد له القوافي، وقد التزم في نظمه منهجية محددة لم يجد عنها في (جواهر إكليله)، وتتمثل هذه المنهجية في التزام عبارة خليل لفظاً لا

(1) ينظر في هذا: «نيل الابتهاج بتطريز الديباج» للتنبكتي، ص (171).

(2) يعني: المبتدئين. يقال: شدا شدوا من العلم: أي حصل منه طرفاً. والشدو: الجزء القليل من الشيء الكثير. ينظر: «المعجم الوسيط»، مادة (ش.د.ا)، (502/1).

يجيد عنها ما كان ذلك في الإمكان. وقد حدّد هذا الالتزام وهذه المنهجية في دياجعة نظمه للمختصر حيث يقول رحمه الله⁽¹⁾:

أَوَّلُ مَا أَقُولُ إِنِّي أَحْمَدُ .. رَبِّي عَلَىٰ إِعْطَائِهِ وَأَشْهَدُ
أَنْ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ يُؤَمِّلُ .. وَأَنَّ أَحْمَدَ نَبِيِّ مُرْسَلٍ
مَنْ رَحِمَ اللَّهُ بِهِ الْأَنَامَ .. إِذْ بَيَّنَّ الْحُدُودَ وَالْأَحْكَامَ
صَلَّىٰ عَلَيْهِ اللَّهُ ذُو الْإِكْرَامِ .. وَآلِهِ وَصَحْبِهِ الْأَعْلَامِ
وَبَعْدُ فَالْمَقْصُودُ مِنْ هَذَا الرَّجَزِ .. نَظْمُ جَوَاهِرِ حِسَانٍ تَكْتَنِزُ
ثَرَهَا مِنْ قَبْلُ ذَا الْجَلِيلِ .. أَبُو الضَّيَاءِ الْمُرْتَضَى خَلِيلُ
فِي قَالِبِ الْإِثْقَانِ وَالْإِجَارِ .. فَكَادَ أَنْ يُعَدَّ فِي الْأَلْغَارِ
فِرَاقٌ فِي الْإِجْمَالِ وَالتَّفْصِيلِ .. وَفَاقَ بِالْإِكْمَالِ وَالتَّحْصِيلِ
[خُلَاصَةُ التَّهْذِيبِ وَالْجَوَاهِرِ وَلَبَّ حَاوِي الْأُمَهَاتِ الْفَاخِرِ]⁽²⁾
جَعَلْتَهُ لِحِفْظِهَا مُسَهَّلًا .. لِكَوْنِهِ أَقْرَبَ أَنْ يُحْصَلَ
لَا لِيَزِيدَ النَّظْمُ فِيهِ حُسْنًا .. لِأَنَّهَا عَنْ نَظْمِنَا بِمَعْنَا
[وَلَكَسْتُ بِاللَّفْظِ لَهُ مُلْتَزِمًا إِذْ ذَاكَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَنْتَظِمَا]⁽³⁾
بَلْ جِئْتُ بِاللَّفْظِ مَعَ الْإِمْكَانِ .. ثُمَّ بِمَا وَاطَّاهُ مِنْ مَعَانِي
وَرُبَّمَا أَحْوَجَنِي الْوِزْنُ إِلَى .. زِيَادَةِ النَّزْرِ الَّذِي مِنْهُ خَلَا

(1) مخطوط «جواهر الإكليل» ورقة (2)؛ وطبعة الباروني (3/1-4)؛ طبعة دار الوعي (19/1).

(2) سقطت من «م»، وهي مثبتة في مخطوط «جواهر الإكليل» ورقة (2)؛ وطبعة الباروني (3/1)؛ وطبعة دار الوعي (19/1).

(3) سقطت من «م»، وهي مثبتة في مخطوط «جواهر الإكليل» ورقة (2)؛ وطبعة الباروني (4/1)؛ وطبعة دار الوعي (19/1).

أَوْ الْمُخَالَفَةِ فِي التَّرْتِيبِ ... مَعَ الْمُوَافَقَةِ لِلتَّقْرِيبِ
وَأَسْأَلُ الْكَرِيمَ أَنْ يَتِمَّ مَا ... مَا خَابَ عَبْدٌ أَمَّهُ مُسْتَعْصِمًا
وَهَا أَنَا أَشْرَعُ فِي الْمَقْصُودِ ... بِعَوْنِ رَبِّنَا الْمُفِيزِ الْجُودِ
ولأوقف القارئ الكريم على مدى دقة ومصادقية الإمام الناظم سيدي
خليفة بن حسن في التزام المنهج الذي كتبه على نفسه، وقرره في مقدمته؛
والمتمثل في التزامه بعبارة «خليل» ولفظه، لا يحيد عنها ما وسعه ذلك، وبقدر
الإمكان، إلا ما تفرضه قيود النظم وقوانين الوزن والقافية، من تقديم أو تأخير
أو تغيير كلمة أو عبارة بما يوافقها معنى وإن خالفها لفظاً، أو بعض الزيادات
الطفيفة التي تزيد النص وضوحاً، ولا تمس بجوهره، والتي يتطلبها ويفرضها
نظام الشعر وإيقاعه.

وقد اعتذر العلامة سيدي خليفة عن ذلك بأن التزام حرفية نص «خليل» أمرٌ
غير ممكن ولا مستطاع في النظم ولو تعين ذلك؛ أي: التزام حرفية النص؛
لاستحال النظم، وقد أشار -رحمه الله- لكل هذا بقوله⁽¹⁾:

وَلَسْتُ بِاللَّفْظِ لَهُ مُلتَزِمًا ... إِذْ ذَاكَ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَنْتَظِمَا
بَلْ جِئْتُ بِاللَّفْظِ مَعَ الإِمْكَانِ ... ثُمَّ بِمَا وَاطَأَهُ مِنْ مَعَانِي
وَرُبَّمَا أَحْوَجَنِي الْوِزْنُ إِلَى ... زِيَادَةِ النَّزْرِ الَّذِي مِنْهُ خَلَا
أَوْ الْمُخَالَفَةِ فِي التَّرْتِيبِ ... مَعَ الْمُوَافَقَةِ لِلتَّقْرِيبِ

ذلك هو دستور ومنهجه؛ التزام واحترام حرفية النص بقدر الإمكان،
وعدم الخروج عنه إلا لما تقتضيه ضرورة الوزن والقافية، وإن قَدَّمَ أو أَخَّرَ أو

(1) «جواهر الإكليل»، مخطوط، ورقة (2)؛ وطبعة الباروني (3/1)؛ طبعة دار الوعي (19/1).

استعمل مرادف الكلمة أو العبارة، أو زاد بعض الزيادات الطفيفة، فهو لا يفعل ذلك إلا في حدود معنى النص، ولزيادة الإيضاح والبيان.

وكبرهان على التزام الشيخ لهذا المنهج، أسوق للقارئ الكريم مقدمة المختصر الخليلي، كما كتبها العلامة خليل بن إسحاق - رحمه الله - مشفوعة بما يقابلها من نظم سيدي خليفة.

وبمقابلة النصين تتجلى بآتم وأكمل وضوح دقة التزام الناظم بمنهجيته.

يقول العلامة «خليل» في ديباجة مختصره⁽¹⁾:

"يقولُ العبدُ الفقيرُ المضطرُّ لرحمة ربِّه، المنكسرُ خاطرُهُ لقلَّةِ العملِ والتقوى، خليلُ بنُ إسحاقَ المالكي: الحمدُ لله حمداً يوافي ما تزايد من النِّعم، والشُّكرُ على ما أولانا من الفضلِ والكرم، لا أحصي ثناءً عليه، هو كما أثنى هو على نفسه، ونسأله اللطفَ والإعانةَ في جميع الأحوال، وحال حلول الإنسان في رَمْسِهِ. والصَّلَاةَ والسَّلَامَ على سيِّدنا محمد سيِّد العرب والعجم، المبعوث لسائر الأمم، وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وأُمَّته أفضل الأمم".

ودونك فيما يلي كيف طوَّع سيدي خليفة عبارة خليل للنظم⁽²⁾:

يَقُولُ عَبْدُ الْمُتَعَالِي الْمُفْتَقِرُ .. لِربِّهِ [المَوْلى] ⁽³⁾ الغَنِيِّ، المُنْكَسِرُ
خَاطِرُهُ لِقَلَّةِ الأَعْمَالِ .. وَقِلَّةِ التَّقْوَى لِذِي الجَلَالِ
خَلِيلُ المُضْطَرِّ لِلرَّحْمَةِ مِنْ .. ذِي الفَضْلِ والإِحْسَانِ وَهَّابِ المِنْنِ

(1) «مختصر العلامة خليل»، ص (7).

(2) «جواهر الإكليل»، مخطوط، ص (2-3)؛ «جواهر الإكليل»، طبعة الباروني (1/3-4)؛ «جواهر الإكليل»، طبعة دار الوعي (1/16).

(3) سقطت كلمة «الغني» من «م»، وهي مثبتة في مخطوط «جواهر الإكليل»، ص (2)، وفي طبعة الباروني (1/3)، وفي طبعة دار الوعي (1/16).

وَلَدُ إِسْحَاقَ الَّذِي قَدْ نُسِبَا .. لِمَالِكٍ فِيمَا انْتَمَاهُ مَذْهَبَا
وَرَبَّنَا بِرَحْمَةٍ تَغَمَّدَهُ .. وَيَسَّرَ الْحُسْنَى لَهُ وَأَسْعَدَهُ
وَمِنْهُ أَسْأَلَ الرِّضَا وَالْمَغْفِرَةَ .. وَالصَّفْحَ عَنِّي وَقَبُولَ الْمَعْدِرَةِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَظِيمِ حَمْدًا .. مُوَافِيًا مِنْ نِعَمٍ مَا أَسْدَى
وَالشُّكْرُ وَاجِبٌ عَلَى مَا أَوْلَى .. مِنْ جُودِهِ تَكَرُّمًا وَفَضْلًا
وَالْمَرْءُ لَا يُحْصِي ثَنَاءَ رَبِّهِ .. هُوَ كَمَا أَثْنَى بِهِ عَنْ نَفْسِهِ
نَسْأَلُ مِنْهُ اللَّطْفَ وَالْإِعَانَةَ .. فِي جُمْلَةِ الْأَحْوَالِ وَالصِّيَانَةِ
لَا سِيَّمَا حَالَ حُلُولِ الرَّمْسِ⁽¹⁾ .. عِنْدَ افْتِقَارِنَا بِهِ لِلْأَنْسِ
ثُمَّ الصَّلَاةُ وَسَلَامُهُ الْآتَمُّ .. عَلَى الَّذِي قَدْ سَادَ عُرْبًا وَعَجَمَ
أَرْسَلَهُ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ .. مُبَشِّرًا وَمُنْذِرًا بِالرَّحْمَةِ
وَالِهِ وَصَحْبِهِ وَأُمَّتِهِ .. أَكْرَمَ خَلْقِ اللَّهِ مِنْ بَرِيَّتِهِ

وبالمقارنة يتضح أنَّ الناظم -وفي براعة فائقة- التزم غالبًا عبارة «خليل» بلفظها، أو بمرادفها أحيانًا، مع شيء يسير من التقديم والتأخير في الترتيب.

أما ما زاده الناظم لضرورة الوزن والقافية، فلا يمكن اعتباره حشواً البتة بل هو من تمام المعنى المقصود لخليل، ومندرج في ثنيات لفظه، حَذَفَهُ للإيجاز والاختصار معتمداً على فطنة قارئه، ومعرفته بدقائق العربية وأسرارها.

وبعد أن يأتي العلامة سيدي خليفة على ما أَرَادَهُ ووفق إليه من نظم المختصر الخليلي، يختتم نظمه لخليل بهذه الخاتمة المؤثرة مبنًى ومعنى الدالة على إشفاقه

(1) هكذا في «م»، وفي طبعة الباروني (4/1)، أما في طبعة دار الوعي (16/1): فوردت: «لَا سِيَّمَا عِنْدَ حُلُولِ الرَّمْسِ».

وتواضعه من جهة، واعتداده بنفسه من جهة أخرى، حيث يقول (1):

قَدْ انْتَهَتْ جَوَاهِرُ الْإِكْلِيلِ ... فِي نَظْمِ مَشْهُورِ الرِّضَا خَلِيلِ (2)
سَائِلَةً مِنْ نَاطِرِ عَيْنِ الرِّضَا (3) ... لَا عَيْنَ مَنْ يَسْخَطُهَا مُعْتَرِضًا
وَالْعَفْوُ وَالْإِغْضَاءُ مِنْ ذَوِي النُّهَى ... عَمَّا بِهِ زَاغَ اللِّسَانُ أَوْ وَهَى
وَأَنْ تَكُونُوا مُصْلِحِينَ مَا فَسَدَ ... بَعْدَ تَأْمُلٍ مُؤَدٍّ لِلرَّشْدِ
إِذْ قِيلَ كَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَلَحَ ... بِسَبَبِ الْفَهْمِ الَّذِي فِيهِ قُبُحُ
فَإِنْ يَكُنْ بَعْضُ عَلَيْنَا أَنْكَرًا ... لِمَا بِهِ مِنَ الْوَقْتِ بِنَا تَأَخَّرَا
فَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَى تَخْصِصِ مَنْ ... شَاءَ وَإِنْ تَأَخَّرَ بِهِ الزَّمَنُ
وَهِيَ وَإِنْ وَجَّهَ الصَّوَابِ صَادَفَتْ ... فَرَمِيَّةٌ مِنْ غَيْرِ رَامٍ وَقَعَتْ
وَمَنْ يُقْرِهَا كَذَا لَمْ يَدَّعِ ... لِرَأْيِهِ إِعْتَرَاضِهِ مِنْ مَوْضِعِ
يَا مَلَجًا الْخَائِفِ وَالْمُضْطَرَّ ... وَيَا حَلِيمًا يَا جَمِيلَ السَّرِّ
وَحَيْرَ غَفَّارٍ وَخَيْرَ مَنْ رَحِمَ ... وَعَوَدَ الْإِحْسَانَ فِي كُلِّ مُلِمٍ
وَيَا كَرِيمًا رُجِيَتْ مَوَاهِبُهُ ... لِكُلِّ مَنْ ضَاقَتْ بِهِ مَذَاهِبُهُ
فَإِنَّ عَبْدَكَ الْمُسِيءَ اعْتَرَفَا ... بِمَا جَنَى مِنْ ذَنْبِهِ وَاقْتَرَفَا
وَمَا لَهُ مِنْ حِيلَةٍ إِلَّا رَجَا ... عَفْوِكَ، يَا مَنْ لِلْمُهْمِّ يُرْتَجَى
لُطْفًا سَأَلْنَاكَ بِنَا وَفَرَجَا ... وَمِنْ مَضَائِقِ الْأُمُورِ مَخْرَجَا

(1) «جواهر الإكليل» (257/2)، طبعة دار الوعي.

(2) في «م»: الرضى.

(3) في «م»: الرضى.

وَهَبْ لَنَا مَغْفِرَةً وَعَافِيَةً ... مِنْكَ بِجُمْلَةِ الذُّنُوبِ كَافِيَةً
وَوَالِدِينَا وَشُيُوخَنَا أَنْلْ ... مَغْفِرَةً تَمْحُو بِهَا كُلَّ الزَّلَلِ
وَتَشْمَلُ الْإِخْوَانَ وَالْمَعَارِفَ ... وَمَنْ لَهُ حَقٌّ عَلَيْنَا سَالِفِ
أَبْنَاءَنَا وَكُلِّ مُسْلِمٍ تَعْمُ ... مِنْ أُمَّةٍ الْمُخْتَارِ أَشْرَفِ الْأُمَمِ
فَلَا تَرُدَّ دَعْوَتِي بِالْخِيَةِ ... بِحَقِّ مَنْ آوَيْتُهُ لِطَبِئِهِ
مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ ... مِنْ ذِي سَنَاءٍ مُشْرِقِ سَنَاهِ
وَأَلِهِ وَصَحْبِهِ وَعِثْرَتِهِ ... وَالتَّابِعِينَ وَجَمِيعِ أُمَّتِهِ
وَيَرْتَحِي مَغْفِرَةَ الْغَفَّارِ ... خَلِيفَةُ بْنُ حَسَنِ الْأَقْمَارِي
وَالْعَفْوُ وَالْخَتْمُ بِمَا يَرْضَاهُ ... مِنْ قَوْلٍ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

▣ طبع المنظومة ونشرها:

فيما تقدّم سبق لنا القول بأن آثار سيدي خليفة بن حسن - رحمه الله - قد ضاعت وعبث بها الأيدي، ولم يبق منها بين أيدي أهل العلم سوى منظومته اللامية التي سبقت الإشارة إليها، وأوردنا بعضاً من أبياتها، وهي عبارة عن ردّ على علماء وفقهاء «خنقة سيدي ناجي» الذين اعترضوا على فتوى سيدي خليفة بإدانة السارق "ابن خليل" استناداً إلى الأثر (الجُرّة)، واعترض "ابن خليل" على فتوى الشيخ لدى فقهاء «الخنقة»؛ فأفتوا بطلانها، لمخالفتها للأصول الشرعية

التي منها: «البينة على من ادّعى واليمين على من أنكر»⁽¹⁾، والإقرار⁽²⁾، ووجود المسروق عند السارق إلخ... كما هو مقرر في الفقه.

وقد ردّ الشيخ على نقض علماء «الخنفة» فتواه ردّاً قوياً مفحماً؛ يدلّ على فقه واسع، وفهم دقيق لمقاصد الشريعة، إلّا أنّ أهم أثر علمي للشيخ وهو نظمه: «جواهر الإكليل على مختصر خليل»، قد غفل عنه الزّمن بصُروفه فسَلِمَ من الضّياع، ولا ندري كيف كان ذلك، إلّا أنّنا نفترض أنه وُضع في أيّد عرفت قيمة هذا الكنز الثمين من كنوز الفقه الإسلامي، فاحتفظت به كاملاً سالماً كما كتبه الشيخ بيده، أو نسخه بعض تلاميذه، وظلّ هذا الأثر الجليل محوطاً بالرّعاية والحفظ والصيانة في الخزائن مدة تزيد عن القرن، إلى أن هيأت له الأقدار مَنْ يخرجُه من تلك الخزائن، وينشره في الناس.



التعريف بجواهر الإكليل ونصه المطبوع

«جواهر الإكليل على مختصر خليل»، كما سماه ناظمه سيدي خليفة هو منظومة

(1) هي قاعدة فقهية؛ تعني أن المدّعي عليه أن يقدّم الدليل (البينة) لإثبات دعواه، بينما يؤدي المنكر (المدّعى عليه) اليمين لنفي الدّعوى إذا لم يستطع المدّعي تقديم الدليل؛ وذلك لمنع الادعاءات الكاذبة، وحماية الأفراد من الاتهامات غير المدعومة بالأدلة. وتستند هذه القاعدة في مشروعيتها على حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، أن النبي ﷺ قال في خطبته: «البينة على المدعي، واليمين على المدعى عليه». أخرجه الترمذي في «سننه»، كتاب الأحكام، باب ما جاء في أن البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه، ص (316)، قال الألباني: «صحيح». وينظر: «إرواء الغليل» (279/8). وفي «سنن الدارقطني»، كتاب الأقضية والأحكام، ص (1027-1028)، من طرق متعددة بلفظ: «البينة على المدعي، واليمين على من أنكر»؛ كما جاء في «صحيح مسلم»، كتاب الأقضية، باب اليمين على المدعى عليه، وصيغته: «لو يعطى الناس بدعواهم لادعى ناس دماء رجال وأموالهم ولكن اليمين على المدعى عليه» (1336/3).

(2) الإقرار: اعتراف الشخص بحقّ عليه لآخر، كما يعني: الموافقة على القول أو الفعل. ينظر: «معجم لغة الفقهاء» لقلعه جي، ص (64).

مطوّلة جدًّا على وزن بحر الرَّجَز⁽¹⁾ لمختصر العلامة أبي الضياء خليل ابن إسحاق (سبق التعريف به، وهو أعرف من أن يُعرّف) تقع في حوالي عشرة آلاف بيت، وبالتدقيق تسعة آلاف وثمانمائة واثنان وثلاثين بيتًا (9832) من بحر الرَّجَز التام.

وقد طبعت (ولعلّها الطبعة الأولى والأخيرة⁽²⁾)، ونشرت بـ «مصر» سنة (1318هـ-1900م) بالمطبعة البارونية الأمنية بشارع الجودرية بـ «القاهرة»، وقد وقفتُ على نسخة منها، كُتبت بخطٍّ مغربيٍّ جميلٍ شبيهٍ بالخط الذي كُتب به المصحف الثعالبي المعروف والمتداول بوطننا الجزائري، والأصل مخطوط باليد صُنعت عليه (كليشيات)⁽³⁾ أجريت بها عملية الطبع.

وتقع النسخة المذكورة في جزأين اثنتين؛ الجزء الأول منهما يقع في مائتين وثمان وتسعين صفحة (298)، مضافًا إليها صفحتان بهما فهرس مواضيع الجزء، وينتهي هذا الجزء بباب (نفقة الوالدين، الرقيق والدواب)، ويبلغ عدد الأبيات بهذا الجزء أربعة آلاف وتسعمائة وثلاثة وسبعين بيتًا (4973)، وهو مؤلف من مقدمة الناظم، متلوة بمقدمة العلامة خليل، ومعقودة على سبعة عشر بابًا وثمانية وأربعين فصلاً. وبصلبه أرجوزة العلامة سيدي خليفة، وبيان نصٍّ مختصر العلامة أبي الضياء خليل، وعدد الأبيات بكل صفحة يتراوح بين سبعة عشر وثمانية عشر بيتًا، عدا الصفحات التي بها عناوين الأبواب أو الفصول فإنها تقلّ عن هذا العدد.

(1) هو أحد بحور الشعر العربي المشهورة، ويُعدّ من أسهلها وزنًا وأقربها إلى النثر، لذلك استُعمل كثيرًا في الارتجال والتعليم والأناشيد. وزنه الأصلي: يتكوّن من تكرار تفعيلة "مستفعلن" ثلاث مرات في كل شطر: مستفعلن مستفعلن مستفعلن. ومن مميزاته أنه سريع الإيقاع وسهل الحفظ، ويُستعمل في المنظومات التعليمية.

(2) طبع مرة أخرى في جزأين (ط: 1؛ الجزائر: دار الوعي، 2009م).

(3) كلمة "كليشيه" (Cliché) هي كلمة فرنسية الأصل، وكانت الكلمة تُستخدم في مجال الطباعة القديمة؛ حيث كان "الكليشيه" هو اللوح المعدني الجاهز الذي يُستخدم لطباعة الكلمة نفسها أو الصورة مرارًا دون تغيير.

أما الجزء الثاني فيتألف من مائتين وثمانٍ وسبعين صفحة (278)، وهو كالجُزء الأول من حيث الترتيب والخط والمسطرة، وأوله (باب السيوع) وعدد الأبيات به أربعة آلاف وثمانمائة وتسعة وخمسون بيتاً (4859)، وآخره باب (الفرائض). وجاء في خاتمة المطبوعة ما يلي⁽¹⁾:

"قد تمّ هذا النظم بحمد الله تعالى سنة (1318هـ)"، (والتعبير كما هو واضح على تقدير مضاف محذوف اختصاراً أي طبع هذا النظم)، وقبل صفحتي الفهرس المستقلتين بالترقيم أورد الناشر العبارة التالية نوردها بنصّها لما لها من أهمية⁽²⁾: "قد تم بعون الله تعالى طبع هذا النظم الجليل والرونق الجميل المسمّى بجواهر الإكليل"، وبهامشه مختصر الشيخ خليل، وقد اعتنى بطبعه، ملتزمه لنشره ونفعه بعد أن تكبّده المشاق في سفره للمغرب ليحصل على هذا النظم الجليل، ولم يجد إلا نسخة واحدة ببلاد⁽³⁾ المؤلف، وأخذها بثمن جسيم، وبعد حصوله عليها شرع في طبعه، وقد تم ولله الحمد⁽⁴⁾.

ومن عرف ما اشتمل عليه من الجواهر الثمينة مع سهولة نظمه، وتوضيح ما في الأصل (يعني مختصر خليل) هان عليه أن يقتنيه بوزنه ذهباً، ولله درّ ناظمه، وقد التزم بطبعه الأستاذ سيدي الشيخ محمد بن يوسف الباروني⁽⁵⁾ وشركاه،

(1) «جواهر الإكليل» (277/2)، طبعة الباروني.

(2) المرجع نفسه (278/2).

(3) في «م»: بلد.

(4) في «م»: والحمد لله.

(5) محمد بن يوسف الباروني (النصف الثاني ق: 13هـ/19م) من علماء «جبل نفوسة» في «ليبيا»، أخذ العلم والدين عن أبيه وعمّه أدرك من مشايخ ليبيا في زمانه بـ«نفوسة». سافر إلى «مصر» ليستزيد من علم المعقول، وفيها أسّس «المطبعة البارونية»، التي أثّرت المكتبة الإسلامية بأهمّات الكتب. ينظر: «معجم أعلام الإباضية»، لمحمد بن موسى بابا عمي وآخرين (397/2)، ترجمة رقم (860).

وله الحق قانونًا على كل من يتجاسر على طبعه لامتيازته في تكبّده المشاق في شأن هذا النظم، ولسبقه ونشره، والحمد لله رب العالمين"، ثم ما يلي: "بالمطبعة البارونية الأمنية بشارع الجودرية بـ «مصر» سنة (1318هـ)".

هذا، ويجدر بنا أن نقف عند بعض عبارات الناشر من ذلك قوله: "بعد أن تكبّد المشاق في سفره للمغرب ليتحصل على هذا النظم الجليل". يُفهم من هذه العبارة أنّ الناشر كان على علم ومعرفة بهذا النظم، وبوجوده وأهميته، وأنّه أجرى اتصالات ببلاد المغرب مع مالك النسخة أو مع بعض الوسطاء، ولولا ذلك لما تكبّد مشاق السّفر من «مصر» إلى بلاد «المغرب».⁽¹⁾

ومن ذلك قوله: "ولم يجد إلا نسخة واحدة ببلاد المؤلف"، ولم يذكر عند مَنْ وجد هذه النسخة كما أنّ عبارة (بلاد⁽²⁾ المؤلف) غامضة أهي «قمار» بالذّات أم بلد من بلاد الجزائر، العبارة قابلة لكلا الاحتمالين إلّا أن الأول أقرب وعليه يكون الناشر قد جاء بنفسه إلى «قمار»، وحصل فيها على النسخة، ولكنه -ولعله من أسرار المهنة- لم يشر إلى الجهة أو الشخص الذي حصل عليها منه.⁽³⁾ كما أنّ قوله: "وأخذها بثمن جسيم"، يفهم منه أن الجهة أو الشخص الذي أخذ منه النسخة كان على معرفة تامة بقيمتها وأهميتها ولولا ذلك لما غالى في ثمنها، وأغلب الظن أنّ النسخة المخطوطة التي اشتراها الناشر المصري وقعت لأحد

(1) بلاد «المغرب» عند الإطلاق يُراد بها ما يقابل المشرق؛ فتشمل بلدان المغرب العربي ومركزها «الجزائر»، بخلاف الاصطلاح الجديد من اقتصاره على «المملكة المغربية».

(2) في «م»: بلد.

(3) قال الشيخ أحمد مفتاح في رسالته «سيدي خليفة بن حسن الفقيه الكبير»، مخطوط، ص (4): «يقال: إنه استعار الكتاب من ذرية الناظم رحمه الله بواسطة الزاوية التجانية بقمار؛ على نية الاطلاع عليه وترجيعه لأهله؛ لكن الرجل لما صار الكتاب بيده استأجر جمعا من الطلبة نحو ... طالبا ونسخوه له، وبعد نسخه له رجّع الأصل لأهله. وإن كان يحمد على نشره؛ لكن لا يحمد على الطريقة التي سلكها للحصول عليه».

الورّاقين بـ «تونس» - و«تونس» كانت لذلك العهد وما بعده قبلة أهل «سوف» - ومن أحد أحفاد سيدي خليفة بن حسن، وأنّ هذا الورّاق التونسي بحكم مهنته عرف قيمة وأهمية هذا العلق النفيس؛ فباعه من الناشر المصري بثمان جسيم، والله أعلم بما كان.

ولعل من يأتي بعدنا يكون له من صدق العزيمة في البحث والتنقيب، ما يساعده على كشف كلّ هذه الغوامض في حياة العلامة سيدي خليفة بن حسن ونظمه الجليل «جواهر الإكليل»؛ أما أنا فهذا مبلغ علمي وغاية جهدي لحد الآن، ولعلّني إن امتدّ بي العمر أعثر على وثائق أو أحصل على معلومات أخرى؛ فأعود إلى الإضافة أو التصحيح، والله المستعان، وهو ولي التوفيق.

كتبه بشمار في 25 جمادي الثانية 1409 هـ

الموافق لـ 12 يناير 1989 م

فقير ربه الراجي عفوه: محمد التجاني زغودة.

[تذييل (1)]

على الرغم من أن مترجمنا سيدي خليفة بن حسن - رحمه الله - كان صوفيّ النزعة محباً ومكرماً للمتسبين إلى التصوّف؛ فإنّ المصادر التي توفّرت لنا لم تذكر انتسابه لطريقة معيّنة، مع أنّ المعروف عن المتصوّفة الانتماء إلى شيخ معيّن، كما لم تذكر المصادر علاقته بالطريقة التيجانية التي أخذت في الانتشار بمنطقة «وادي ريغ» و«وادي سوف» لعهدده، وكان شيخها سيدي أبو العباس أحمد التجاني⁽¹⁾ معاصراً لسيدي خليفة بن حسن، إذ كان مولوداً بـ «عين ماضي» سنة (1148هـ - 1737م)، ووفاته بـ «المغرب» سنة (1229هـ - 1815م).

وكان أوّل داعية ناشر للطريقة التيجانية بـ «سوف» - حسب الرواية - وهو المرحوم محمد الساسي القماري⁽²⁾ بإذن من الشيخ نفسه أثناء زيارته له بـ «عين ماضي» سنة (1191هـ)، ثم عاد هذا الداعية الوفيّ إلى «سوف» وأخذ ينشر الطريقة بجدّ واجتهادٍ، والتفّ حوله جمهور من المريدين من «قمار»

(1) هو أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد الشريف التجاني، الأغواطي الجزائري، أبو العباس: شيخ الطريقة التيجانية، فقيه مالكي متصوف، ملم بالأدب. ولد في «عين ماضي» ضواحي «الأغواط» عام 1150هـ / 1737م، ودخل «فاس» سنة (1171هـ) وسمع بها شيئاً من الحديث، ثم دخل «تلمسان» ودرس بها. وحج سنة (1186هـ) فمر بـ «تونس» وأقام بها مدة. وعاد إلى «فاس»، ثم رحل إلى «توات» وأخرج منها، فاستقر بـ «فاس» سنة (1213هـ) إلى أن توفي سنة (1230هـ / 1815م). من آثاره: "ورد" مخطوط، في (10) ورقات، في خزانة الرباط. ولبعض أصحابه كتب في سيرته، منها: "جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض أبي العباس أحمد التجاني" لعلّي حرازم. ينظر: «سلوة الأنفاس» للكتاني (196/1)؛ «اليواقيت الثمينة» للأزهري (59/1)؛ «شجرة النور»، مخلوف، ص (378)؛ «تعريف الخلف» للحفناوي (39/2).

(2) ينظر: «أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه»، عبد الباقي مفتاح، ص (184-185)؛ «أعلام من قمار»، ص (344).

و«تاغزوت»، ثم شد الرِّحال مرة أخرى لزيارة الشيخ بـ «عين ماضي» رفقة وفد من المريدين مكوّن من عشرة أشخاص، تسعة منهم -على ما يقال- من أهل «قمار»، وعاشرهم من «تاغزوت»، هو المقدم أحمد بن سليمان⁽¹⁾، وفي الطريق إلى «عين ماضي» حطّوا الرِّحال عند سيدي الحاج علي التماسيني⁽²⁾ الذي كان وقتئذ في سعة شبابه؛ إذ لم يتجاوز عمره وقتذاك الحادية والعشرين.

ثم أخذت الطريقة التيجانية تشقّ طريقها بـ «قمار»، وازداد عدد المنتسبين إليها زيادة ملحوظة؛ بفضل نشاط روادها الأوائل، وحماسهم، وصدق اعتقادهم، وإخلاصهم؛ مما دعا الشيخ سيدي أحمد التجاني أن يلحّ على مريديه في بناء زاوية بـ «قمار»؛ تكون مركزاً لنشر الطريقة، وجمع شمل المريدين والمنتسبين، فجَدَّ المريدون في تنفيذ إرادة الشيخ فَبُنِيَت الزاوية في سنة (1204هـ)⁽³⁾، وكان المخطّط لها حواريُّ الشيخ السيّد محمود التونسي -رحمه

(1) هو أحمد بن سليمان بن علي الرابحي التغزوتي، السوفي، ولد عام (1178هـ/1765م) في «تغزوت» حيث نشأ وتعلّم، وانتقل إلى الإقامة بـ «قمار» وكان واحداً من الوفد الذي زار الشيخ أحمد التجاني عام (1202هـ/1786م) بـ «عين ماضي»، واستجابوا لأمر الشيخ بتأسيس زاوية «قمار»، وتوالى زيارته للشيخ أكثر من (13) مرة، ثم لازم خليفته الحاج علي التماسيني وأبناء الشيخ، توفي بزاويته في «تغزوت» سنة (1252هـ/1838)، ودفن بها.

(2) هو علي بن عيسى بن محمد بن موسى التماسيني، الإمام التجاني. ولد عام (1180هـ) بـ «تماسين» التابعة لمنطقة «تقرت» بالجنوب الشرقي الجزائري، ونشأ في بيت صلاح وطهارة، فحفظ القرآن الكريم وما تيسر من العلوم الدينية، أخذ عن الشيخ محمد بلمشري السايحي عام (1203هـ)، ورحل إلى الشيخ أحمد التجاني بـ «فاس» عام (1204هـ) وتلقّى عنه، ثم كلفه بفتح زاوية بـ «تماسين»، والتي اكتمل بناؤها عام (1220هـ). عُرِفَ الشيخ التماسيني بالصلاح والتقوى، وكان شعاره: "اللويحة والمسيحة والسبيحة". توفي سنة (1260هـ). ينظر: «كشف الحجاب عن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب»، أحمد سكيرج، ص (126-132)؛ «العرف الشذي في التعريف بالشيخ سيدي الحاج علي التماسيني»، علي بن خليفة؛ و«معجم الصفاة» لعبد القادر موهوبي (1/115-133).

(3) الموافق (1789م).

الله-⁽¹⁾، فكانت بذلك أول زاوية تقام للطريقة الأحمدية التيجانية على مستوى الوطن⁽²⁾، وكل هذه الأحداث تمت في حياة الشيخ سيدي خليفة بن حسن، ولكن الروايات لم تشر ولو أدنى إشارة إلى مدى علاقته بها أو موقفه منها.



تذييل (2)

مما تجدر الإشارة إليه أن دويلة بني جلاب أُسِّست سنة (866هـ/1404م)⁽³⁾ على يد مؤسسها الأول الحاج سليمان، استمرت قائمة الذات بين ازدهار وذبول، وقوة وضعف؛ حتى دخول الغزاة الفرنسيين لمنطقة «سوف» سنة (1853)؛ فحاول سليمان⁽⁴⁾ آخر الجلابيين التصدي للغزاة، وجمع لذلك حشودًا من

(1) من خاصة الخاصة من أصحاب الشيخ أبي العباس أحمد التجاني، والمشهود لهم بالأمانة والصلاح، توفي بـ«فاس» سنة (1230هـ)، ودفن بمقبرة باب الفتوح؛ أحد أبواب «فاس». ويقال بأن القواعد التي خطها للزاوية (9م×9م) من الصحن الشرقي لبلدة «فهار»، خارج أسوار المدينة القديمة، وبقيت مدة (80) سنة على شكل قاعة مربعة، تؤدي فيها الصلوات الخمس، وتقام فيها حلقات الذكر، وتلاوة الحزب الراتب من القرآن الكريم. (2) بل على مستوى العالم؛ حيث بُنيت زاوية «فاس» عام (1215هـ/1800م)، وزاوية «تماسين» عام (1218هـ/1803م)، ثم زاوية «عين ماضي» بـ«الأغواط» في (1231هـ/1816م). ينظر: «عمارة مدينة فهار بمنطقة سوف من القرن (10) إلى (13هـ)» دراسة أثرية عمرانية"، عبد العزيز حسونة، ص(91).

(3) تنسب إمارة بني جلاب إلى الشيخ سليمان بن رجب المريني الجلابي، الذي تربع على كرسي المشيخة في الثلث الأول من القرن (15م) حيث أخذ الفتن والصراعات الداخلية أواخر حكم الحفصيين، ومن ثم استقل بإمارة المنطقة (ورقلة ووادي ريغ، وجزء من وادي سوف). ينظر: "علاقة بني جلاب سلاطين «تفرت» بالسلطة العثمانية في الجزائر"، محمد بن معمّر، مجلة الحضارة الإسلامية، جامعة وهران 1، المجلد (09)، العدد(12)، (2005م)، ص(15-17)؛ "العلاقات السياسية بين الدولة العثمانية والإمارات الصحراوية في الجزائر - إمارة بني جلاب بوادي ريغ أنموذجا 1531-1854م"، رضوان شافو، مجلة قرطاس للدراسات الحضارية والفكرية، جامعة تلمسان، المجلد (2)، العدد (2)، (2010م)، ص(51-52).

(4) هو سليمان بن الكبير وهو آخر سلطان من سلاطين بني جلاب ودام حكمه في «تفرت» و«وادي ريغ» إلى أن وصلت القوات الفرنسية إليها سنة (1853) إلى (1854).

«وادي ريغ» و«سوف» وغيرهما واجه بها قوات الغزو الفرنسي؛ ولكنّ تفوّق العدوّ في العُدّة والعتاد، ومساعدة الخونة والقَعْدَة؛ جعل الكفّة تميل لجانب العدوّ الغاصب؛ فأنحلّ جيش آخر بني جلاب، واختفى الأمير سليمان بـ«تماسين»⁽¹⁾ مدّة، ثم التحق بـ«الوادي»، وأقام بها فترة من الزمن، ريثما هبّ له أتباعه وأنصاره فرصة الالتحاق بالبلاد التونسية؛ فالتحق بها خائفاً يترقّب حتى بلغ مأمنه من بلاد «الجريد»، وكان ذلك آخر العهد به وبأخباره وبإمارة بني جلاب، وسبحان من بيده الملك والملكوت، يؤتيه من يشاء، وينزعه ممن يشاء، لا معقّب لحكمه، وهو على كلّ شيء قدير.



(1) «تماسين»: حاضرة تاريخية من حواضر مدينة «تقرب»، تبعد عنها حوالي (10) كلم من جهة الجنوب، تميزت بموروث حضاري عريق، رغم تهديم البيوت واهتراء الجدران. ولعل أهم ما يشد الأنظار إليها: البحيرة الزرقاء، والقصر القديم الذي تأسس سنة (782م)، والزاوية التجانية العريقة التي تترجّع على مساحة تمتدّ إلى (12) هكتاراً، وتُحيط بها واحات من النّخيل، أسسها الشيخ الصوفي الحاج علي التماسيني في منطقة «تملاح» بالسبخة عام (1805م). وينظر: «معلمة الجزائر»، شرفي، ص (454).

الفهارس

- أولاً: فهرس الأعلام.
- ثانياً: فهرس الأماكن.
- ثالثاً: فهرس المصادر والمراجع.
- رابعاً: فهرس المحتويات.

أولاً: فهرس الأعلام

- أبان اللاحقى: (73).
- إبراهيم العوامر: 7، 39، 41، (56)، 57، 58، 69.
- إبراهيم بن جلاب: 70.
- إبراهيم بن سعد: (56)، 57.
- إبراهيم بن شريط: 57.
- إبراهيم بوحنىك: (19).
- إبراهيم زغودة: (12)، 14.
- ابن عاشر = عبد الواحد بن أحمد.
- أبو العتاهية = إسماعيل بن القاسم.
- أبو القاسم القبى: (56).
- أبو القاسم تريعة المجورى: (56).
- أبو القاسم سعد الله: 6، 20، 35.
- أبو بكر الصديق: 51.
- أحمد التجانى: (89)، 90.
- أحمد بن الساسى: 64.
- أحمد بن الهادى: 61.
- أحمد بن خليفة بن أحمد: 61.
- أحمد بن سليمان: (90).
- أحمد بن قاسم البونى: (75).
- أحمد بن محمد بن جلاب: 60، 67، 68، 69.
- أحمد مفتاح: 62، (59).
- الأخضر سلطنة: 14.
- إسماعيل بن القاسم، أبو العتاهية: (74).

- بشير براج: (19).
- بشير خلف: (26).
- التجاني بن حسن: 42.
- حسان بن النعمان: 16.
- حسين الكاهية: 12.
- خليفة بن أحمد بن عبد الله: 61.
- خليفة بن حسن: 5، 6، 7، 8، 9، 35، 37، 38، 39، 40، 41، 42، 47، 52، 57، 58، 59، 61، 62، 63، 64، 65، 66، 72، 75، 79، 80، 83، 85، 88، 89، 91.
- خليل بن إسحاق: 5، 41، (50)، 51، 73، (76)، 77، 79، 80، 81، 85، 86.
- خليل: 52، 53، 83.
- زين الدين شكيري: (25).
- الساسي بن حمارطية: 64.
- سعد الشارف: 61.
- سعيد عبد الحي: (25).
- سليمان بن رجب الجلابي: 91، 92.
- الشيخ بالأبيض: 50.
- الصادق التجاني: (19).
- الصادق حفيان: 20.
- الصادق قطايم: (61)، 62، 63، 64.
- صالح باي: 71، 72.
- الطالب العربي: (25).
- الطاهر بن العبيدي: 7.
- الطاهر بن خليفة بن حسن: 60، 61.

- عادل مخلو: 35.
- عبد الباقي مفتاح: 8، 42.
- عبد الحميد قرميط: (19).
- عبد الحميد مهري: (24).
- عبد الرحمن الشريف: (25).
- عبد القادر السائحي: (26).
- عبد القادر بوحملة: 16.
- عبد الله بن الحاج عمار زغودة: 14.
- عبد الله بن المقفع: (74).
- عبد الله بن عبد الرحمن، ابن أبي زيد القيرواني: 75.
- عبد المجيد حبة: 6.
- عبد المجيد كافي: (18).
- عبد الواحد بن أحمد، ابن عاشر: 16.
- عبید الله بن الحبّاب: 46.
- علي التماسيني: (90).
- علي برايج: (19).
- علي كافي: (18).
- عمر شكيري: (63).
- فخر الدين ميعادي: (18).
- فرحات بن جلاب: 69، 70، 71، 72.
- القيرواني = عبد الله بن عبد الرحمن.
- محمد الأخضر الأخضر: (17)، 26.
- محمد البشير الإبراهيمي: (24).
- محمد التجاني زغودة: 6، 7، 8، 9، 11، 14، 15، 16، 20، 22، 26، 27، 29،
- 30، 31، 32، 33، 34، 37، 42، 47، 49، 50، 88.

- محمد الساسي القماري: 89.
- محمد الصالح النيفر: (23).
- محمد الصغير الأخضرري: (26).
- محمد الطاهر التليلي: 6، (14)، 15، 35، 41.
- محمد بن أحمد بن جلاب: 72.
- محمد بن الحاج بن قانة: 70.
- محمد بن حمانة: (56).
- محمد بن عبد الله الخرشي: (76).
- محمد بن عبد الله، ابن مالك: 16.
- محمد بن يوسف الباروني: (86).
- محمد كافي: (18).
- محمد ماني: 42.
- محمد ياجور: 35.
- محمود التونسي: 90.
- المولدي بن حميدة: (18).
- يوسف الرويسي: (24).



ثانيا: فهرس الأماكن

- أبي خراش: 77.
- الإسكندرية: 76.
- باب تونس: 64.
- البحيرة: 77.
- بسكرة: 65.
- بنزرت: 12، 15، 31.
- تغزوت: 70، 90.
- ثقرت: 60، 65، 68، 70، 72.
- تماسين: 92.
- توزر: 69.
- تونس: 15، 17، 20، 21، 22، 23، 26، 55، 60، 62، 88.
- الجريد: 69، 92.
- الجزائر: 21، 26، 28، 31.
- خنقة سيدي ناجي: 52، 53، 55، 57، 59، 77، 83، 84.
- الديبلة: 70.
- دمشق: 24.
- رادس: 60.
- الزاب: 65، 66.
- الزراديي: 67، 69.
- زريبة الوادي: 72.
- سوريا: 23.
- عرفات: 57.
- عين ماضي: 89، 90.
- فاس: 16.
- القاهرة: 76، 77، 85.

- قسنطينة: 27، 30، 71.
- قمار: 11، 12، 14، 20، 27، 28، 29، 33، 34، 37، 42، 50، 51، 55، 59، 60، 61، 64، 67، 68، 69، 70، 71، 88، 89، 90.
- القيروان: 51، 63، 64.
- لبنان: 23.
- مصر: 16، 22، 77، 85، 87.
- المغرب الأقصى: 55.
- المغرب: 87، 89.
- مكة المكرمة: 60.
- ميزاب: 51.
- نفطة: 69.
- وادي ريغ: 17، 65، 89، 92.
- وادي زيتن: 67.
- وادي سوف: 6، 11، 17، 20، 27، 30، 33، 58، 65، 70، 71، 87، 89، 91، 92.
- الوادي: 67، 68، 71، 92.



ثالثاً: فهرس المصادر والمراجع

أولاً. الكتب:

1. الإباضية في المغرب الأوسط: مسعود مزهودي، الجزائر: المطبعة العربية بغرداية، 1417هـ / 1996م.
2. إتحاف القارئ بحياة الشيخ خليفة بن حسن الأفماري: محمد الطاهر التليلي (توفي 2003هـ)، تحقيق وتعليق: أبو القاسم سعد الله، ط: 2؛ الجزائر: عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 2015م.
3. آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي: أحمد طالب الإبراهيمي، ط: 1؛ بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1997م.
4. أخبار وأيام وادي ريغ: محمد الطاهر بن دومة (توفي 1982م)، تحقيق وتقديم: محمد الحاكم بن عون، مذكرة ماجستير في تخصص: علم المخطوط العربي، جامعة منتوري بقسنطينة، 2010/2011م.
5. أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه: عبد الباقي مفتاح، ط: 1؛ بيروت: دار الكتب العلمية، 2009م.
6. أضواء على مدينة فهار بوادي سوف: التجاني العقون، ط: 1؛ الوادي: مطبعة الوادي، 2016م.
7. أعلام التصوف في الجنوب الجزائري ودورهم في ترسيخ القيم العقدية والتربوية - منطقة وادي سوف أنموذجاً -: تأليف جماعي، تحرير وتقديم: أ.د. إبراهيم رحمان، د. جمال الأشرف، د. زهير بن كتفي. ط: 1؛ الجزائر: مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية، جامعة الوادي، 1445هـ / 2024م.
8. أعلام من فهار بوادي سوف: التجاني العقون، لا.ط؛ الوادي: مطبعة سخري، 2013م.
9. الأعلام: خير الدين الزركلي (توفي 1396هـ)، ط: 15؛ بيروت: دار العلم للملايين، 1997م.

10. الأماجد من أبناء سوف: عبد الحميد بن نصر بسر، لا.ط؛ الجزائر: سامي للطباعة والنشر والتوزيع، الوادي، 2019م.
11. بحوث الملتقى الدولي السابع "المقاومة الثقافية لأعلام الفكر الإصلاحي في الجنوب الشرقي الجزائري 1900-1962م: مجموعة من المؤلفين، تحرير: أ.د. إبراهيم رحمان، أ.د. الجباري عثماني، د. أحمد بالعجال، ط:1؛ الجزائر: إصدارات مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية، جامعة الوادي، طبع: سامي للطباعة والنشر والتوزيع، 1445هـ/2023م.
12. بحوث ودراسات في تاريخ وادي ريغ: أ.د. رضوان بن الرتمي شافو، لا.ط؛ الجزائر: سامي للطباعة والنشر والتوزيع، الوادي، 2026م.
13. تاريخ الجزائر الثقافي: د. أبو القاسم سعد الله. لا.ط؛ الجزائر: دار البصائر، 2007م.
14. تجارب في الأدب والرحلة: أبو القاسم سعد الله، لا.ط؛ الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983م.
15. تعريف الخلف برجال السلف: أبو القاسم محمد الحفناوي الديسي (ت1360هـ)، الجزائر: مطبعة بدير فونتانة الشرقية، 1324هـ/1906م.
16. ثبت البوني: أحمد بن قاسم البوني الجزائري (توفي 1139هـ)، عناية: محمد شايب شريف، ط:1؛ دمشق: دار المقتبس، 1438هـ/2017م.
17. جواهر الإكليل في نظم مختصر الشيخ خليل: خليفة بن حسن السوفي القماري، ط:1؛ مصر: المطبعة البارونية، 1318هـ.
18. حاطب أوراق: أبو القاسم سعد الله، ط:1؛ الجزائر: عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 1431هـ/2010م.
19. حياتي في دائرة الضوء: بشير خلف، ط:1؛ الجزائر: سامي للطباعة والنشر والتوزيع، الوادي، 2021م.
20. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (توفي 852هـ)، لا.ط؛ بيروت: دار الجيل، 1414هـ/1993م.
21. الدموع السوداء - ديوان شعر: محمد الطاهر التليلي، تحقيق وتقديم وتعليق: أبو

- القاسم سعد الله، طبعة خاصة، الجزائر: عالم المعرفة، 2011م.
22. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب: إبراهيم بن علي بن محمد ابن فرحون (ت799هـ)، تحقيق: د. محمد الأحمدى أبو النور، ط: 2؛ القاهرة: مكتبة دار التراث، 1426هـ/2005م.
23. السجل الذهبي لشهداء الثورة التحريرية بولاية الوادي 1954-1962: مديرية المجاهدين وذوي الحقوق لولاية الوادي، الجزائر: منشورات الجمعية التاريخية أول نوفمبر بولاية الوادي، طباعة: سامي للطباعة والنشر والتوزيع، الوادي، 2021م.
24. سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس: محمد بن جعفر الكتاني (توفي 1345هـ)، المغرب: دار الثقافة، الدار البيضاء، 1425هـ/2004م.
25. سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (توفي 279هـ)، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، واعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. ط: 1؛ الرياض: مكتبة المعارف، 1417هـ.
26. سنن الدارقطني: علي بن عمر الدارقطني (توفي 385هـ)، ط: 1؛ بيروت: دار ابن حزم، 1432هـ/2011م.
27. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: محمد بن محمد مخلوف (ت 1360هـ)، لا.ط؛ بيروت: دار الفكر، د.ت.
28. شخصيات جزائرية "مواقف وآثار ونصوص": د. مسعود كواتي، ط: 1؛ الجزائر: دار طليطلة، 1432هـ/2011م.
29. شخصيات وأعلام في الذاكرة: عبد الحميد قادري، لا.ط؛ الجزائر: دار الأوطان، 2017م.
30. شفاء الغليل في حل مقفل خليل: محمد بن أحمد ابن غازي (توفي 919هـ)، تحقيق: د. أحمد بن عبد الكريم نجيب، ط: 1؛ القاهرة: مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، 1429هـ/2008م.
31. شهداء الحرب التحريرية بوادي سوف: سعد العمامرة، والجيلاني العوامر، لا.ط؛ الجزائر: مطبعة النخلة، بوزريعة، د.ت.

32. الشيخ محمد الصالح النيفر حياته وآثاره: أروى النيفر، ط:1؛ بيروت: دار لبنان للطباعة والنشر، 1425هـ/2005م.
33. الشيخ محمد الطاهر التليبي وجهوده في البحث الفقهي والإفتاء: د. إبراهيم رحمان، ط:1؛ الجزائر: مطبعة سخري، الوادي، 1432هـ/2011م.
34. الشيخان - الشيخ إبراهيم بن عامر، والشيخ الهاشمي حسني - : د. عاشوري قمعون، ط:1؛ الجزائر: مطبعة مزوار، الوادي، 2010م.
35. صحيح مسلم (الجامع الصحيح): مسلم بن الحجاج القشيري (توفي 261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. ط:1؛ بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1375هـ/1956م.
36. الصروف في تاريخ الصحراء وسوف: إبراهيم بن محمد الساسي العوامر (توفي 1932م)، لا.ط؛ تونس: الدار التونسية للنشر، 1977م.
37. صفحات من تاريخ تونس: محمد بن الخوجة، تحقيق: حمادي الساحلي، والجيلاني بن الحاج يحيى، ط:1؛ بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1986م.
38. الطلبة الجزائريون بالبلاد التونسية: حبيب حسن اللولب، الجزائر: وزارة الثقافة، 2013م.
39. الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900-1956م: د. خير الدين شترة، ط: خاصة؛ الجزائر: دار البصائر للنشر والتوزيع، 2009م.
40. العرف الشذي في التعريف بالشيخ سيدي الحاج علي التماسيني: علي بن خليفة، ط:1؛ الجزائر: مطبعة دار الجائزة، القبة، 2015م.
41. العلامة المصلح محمد الطاهر التليبي 1910-2003 قراءات في سيرته وفكره وآثاره: مجموعة من المختصين، إشراف وتنسيق: عادل محلو، تصدير: أ.د. أبو القاسم سعد الله، وضمنه بحث: "الشيخ العلامة محمد الطاهر التليبي القماري كما عرفته، لمحمد التجاني زغودة"، الجزائر: إصدارات الجمعية الثقافية للمركز الثقافي محمد ياجور بشمار، طبع: شركة مزوار للطباعة والنشر والإشهار والتوزيع بالوادي، 2005م. ص (5-24).
42. عمارة مدينة فهار بمنطقة سوف من القرن 10 إلى 13هـ: عبد العزيز حسونة، ط:1؛

الجزائر: مطبعة مزوار، 2013م.

43. الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي: محمد بن الحسن الحجوي الشعالبي (توفي 1376هـ)، بعناية: أيمن صالح شعبان، ط:1؛ بيروت: دار الكتب العلمية،

1416هـ/1995م.

44. فهرس المخطوطات الإسلامية بمكتبة الشيخ الموهوب أولوجيب الخاصة، بجاية،

الجزائر: جمال الدين مشهد، وأ.د. أيمن فؤاد سيد، لا.ط؛ لندن: مؤسسة الفرقان

للتراث الإسلامي، 1424هـ/2004م.

45. كشف الحجاب عن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب: أحمد سكيرج،

الجزائر: دار التجاني للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة بتغزوت، الوادي، د.ت.

46. مرايا "حديث في الثقافة والجمال والفنون - مقالات": بشير خلف، إصدار: مديرية

الثقافة لولاية الوادي، ط:1؛ طباعة: مطبعة مزوار، 2012م.

47. مسامرات الظريف بحسن التعريف: محمد بن عثمان السنوسي، تحقيق: محمد الشاذلي

النيفر، ط:1؛ بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1994م.

48. معجم أعلام الإباضية - قسم المغرب العربي: محمد بن موسى بابا عمي وآخرون،

ج2، ط:2؛ بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1421هـ/2000م.

49. معجم أعلام الجزائر خريجي الجامع الأعظم بتونس: د. خير الدين شترة، ط:1؛

الجزائر: منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2015م.

50. معجم أعلام الجزائر: عادل نويهض. ط:2؛ بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية،

1400هـ/1980م.

51. معجم الصفوة: عبد القادر موهوبي، لا.ط؛ الجزائر: تين وزيتون للنشر والتوزيع،

2012م.

52. المعجم الوسيط: د. إبراهيم أنيس وآخرون، ط:2؛ القاهرة: مجمع اللغة العربية،

1392هـ/1972م.

53. معجم لغة الفقهاء: د. محمد رواس قلعه جي، د. حامد صادق قنيبي، ط:2؛ بيروت:

دار النفائس، 1427هـ/2006م.

54. معلمة الجزائر: عاشور شرفي، لا.ط؛ الجزائر: دار القصبة، 2009م.
55. المنظومة القضائية في البلاد السوفية من خلال الوثائق "قمار نموذجاً": محمد بن عمار ماني، ط: 1؛ الجزائر: مطبعة الرمال بالوادي، 2016م.
56. مواهب الجليل في شرح مختصر خليل: محمد بن محمد الرعيني المعروف بالحطاب (توفي 954هـ)، تحقيق: زكريا عميرات، بيروت: دار عالم الكتب، 1423هـ/2003م.
57. الموجز الكافي من حياة علي كافي: عبد الحميد عقال، ط: 1؛ الجزائر: دار الأوطان، 2013م.
58. النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962: محمد الصالح الجابري، تونس: الدار العربية للكتاب، 1983م.
59. نظرة على الجزائريين 1947 و1962 من خلال كتابات الجزائريين في الصحافة التونسية (الزهرة، الأسبوع، الصباح - نموذجاً): براهيم بلوزاع، ط: 1؛ الجزائر: دار كوكب العلوم، 2015م.
60. نظم الشيخ خليفة بن حسن السوفي على مختصر خليل المسمى جواهر الإكليل: خليفة بن حسن الفهماري، ط: 1؛ الجزائر: دار الوعي، 2009م.
61. النور الأبهر في طبقات شيوخ الجامع الأزهر: محي الدين الطعمي، ط: 1؛ بيروت: دار الجيل، 1412هـ/1992م.
62. وادي ريغ تاريخ وأبجد جزائرية: عبد الحميد إبراهيم قادري، ط: 1؛ الجزائر: دار الأوطان، 2013م.
63. اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة: محمد البشير ظافر الأزهرى، القاهرة: مطبعة الملاحي العباسية، 1325هـ.

ثانيا. المخطوطات:

1. جواهر الإكليل في نظم مختصر الشيخ خليل: خليفة بن حسن الثماري، نسخة في (19) ورقة من أول الكتاب إلى حوالي منتصف فصل أحكام ستر العورة، محفوظة بمكتبة الشيخ الموهوب أولحبيب ببجاية، بحوزتي صورة عنها.
2. هذه حياتي: محمد الطاهر التليلي، نسخة كاملة بحوزتي نسخة عنها، صورتها بنفسني عن الأصل أثناء حياة المؤلف.
3. مجموع مسائل تاريخية: محمد الطاهر التليلي، نسخة كاملة بحوزتي نسخة عنها، صورتها بنفسني عن الأصل أثناء حياة المؤلف.
4. خلاصة ما جاد به الزمن من أخبار سيدي خليفة بن حسن: محمد التجاني زغودة، نسخة مصورة في (18) ورقة محفوظة عند الشيخ عبد الباقي مفتاح بقمار، بحوزتي نسخة عنها.

ثالثا. المقالات:

1. اسمعوا ما يقال عنكم، محمد التجاني زغودة، البصائر، السنة الرابعة، العدد (165)، الجمعة (22) ربيع الأول (1358هـ) / (12) ماي (1939م)، ص (3).
2. التعليم الأصلي في الجزائر خلال العشر سنوات من استرجاع الاستقلال: أحمد درار، مجلة الأصاله، الجزائر: وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، العدد (8)، ماي (1972م)، ص ص (229-239).
3. الشيخ خليفة بن حسن الأقماري ومنظومته النحوية: العزوزي حرزولي، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، جامعة الوادي، العدد (3)، عام (2013م)، ص ص (276-283).
4. العلاقات السياسية بين الدولة العثمانية والإمارات الصحراوية في الجزائر - إمارة بني جلاب بوادي ريغ أنموذجا 1531-1854م، رضوان شافو، مجلة قرطاس للدراسات الحضارية والفكرية، جامعة تلمسان، المجلد (2)، العدد (2)، (2010م).
5. علاقة بني جلاب سلاطين تقرت بالسلطة العثمانية في الجزائر، محمد بن معمر، مجلة

- الحضارة الإسلامية، جامعة وهران 1، المجلد (09)، العدد (12)، (2005م).
6. مرشحو حزب الشعب في بلدية الوادي سنة 1948: د. أبو القاسم سعد الله، مجلة المصادر، الجزائر: المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة عام (1954)، العدد: (17)، أفريل (2008م).
7. نحن كل للجزائر، محمد التجاني زغودة، البصائر، السنة الرابعة، العدد (159)، الجمعة (9) صفر (1358هـ)/(31) مارس (1939م)، ص (4).
8. النشاط الإصلاحي والاجتماعي لجمعية الشبان المسلمين التونسيين ما بين 1929م-1956م: د. محمد بوطيبي، مجلة التميز الفكري، جامعة الطارف، ع (5)، جانفي (2021م).

رابعاً. المراجع الإلكترونية:

1. موقع وزارة الداخلية التونسية – ولاية بتزرت:

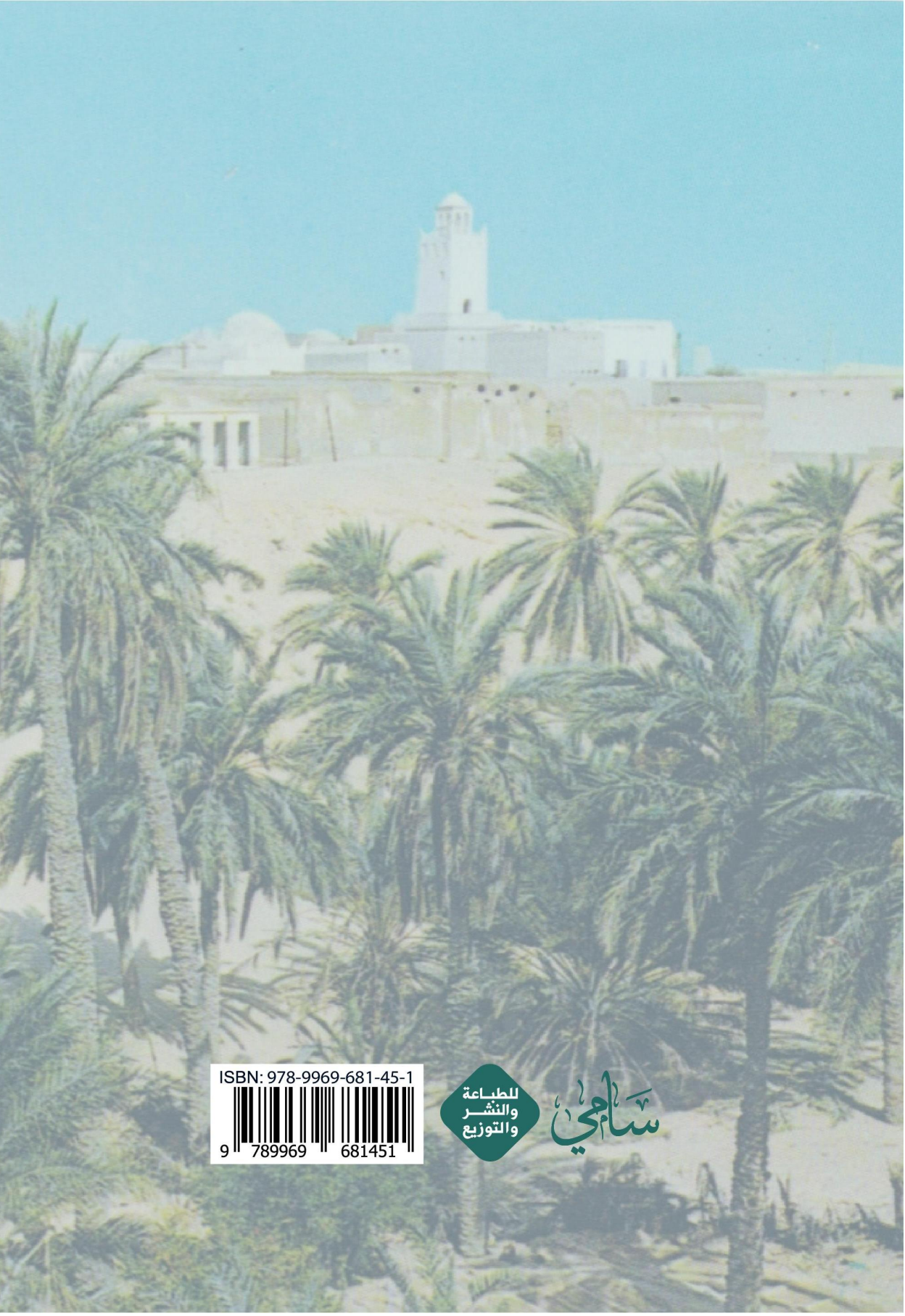
http://www.gouvernorat-bizerte.gov.tn/?page_id=855



رابعاً: فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
□ مقدمة	5
القسم الأول: الدراسة - لمحة عن حياة الأستاذ محمد التجاني زغودة، والتعريف برسالة «خلاصة ما جاد به الزمن من أخبار سيدي خليفة بن حسن».	9
المطلب الأول: لمحة عن حياة الأستاذ محمد التجاني زغودة	11
أولاً: نسبه ومولده وأسرته	11
ثانياً: نشأته ودراسته	12
ثالثاً: أعماله ووظائفه	22
رابعاً: فضائله	29
(أ) الالتزام الأخلاقي	29
(ب) المهمة العالية	30
(ج) الاستقلال الفكري	30
(د) الوطنية الصادقة	31
(هـ) التمكن في التخصص	32
(و) التواضع ونكران الذات	33
(ز) التفاني في العمل	33
خامساً: وفاته	34
سادساً: آثاره	34
المطلب الثاني: التعريف برسالة «خلاصة ما جاد به الزمن من أخبار سيدي خليفة بن حسن».	37
أولاً: وصف الرسالة ونسبتها للمؤلف	37

38	ثانيا: سبب التأليف
40	ثالثا: منهج المؤلف في رسالته
40	رابعا: محتويات الرسالة
41	خامسا: مصادر الرسالة
41	سادسا: وصف النسخة المعتمدة
42	سابعا: منهجية خدمة الرسالة
43	ثامنا: صور عن صفحات من المخطوط
46	القسم الثاني: التحقيق والتعليق – نص الرسالة
49	□ مقدمة
50	□ فمن هو العلامة خليفة بن حسن؟
59	□ مكانته العلمية والدينية
60	□ أبناؤه وأحفاده
65	□ أحداث عصره
72	□ جواهر الإكليل على مختصر خليل
83	□ طبع المنظومة ونشرها
84	□ التعريف بجواهر الإكليل ونصه المطبوع
89	□ تذييل (1)
91	□ تذييل (2)
93	الفهارس:
95	أولا: فهرس الأعلام
99	ثانيا: فهرس الأماكن
101	ثالثا: فهرس المصادر والمراجع
109	رابعا: فهرس المحتويات



ISBN: 978-9969-681-45-1



9

789969

681451

للطباعة
والنشر
والتوزيع

ساجي